جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
قسم اللغة العربية وآدابها

دراسات عربية
فى
تراثنا الأصيل

الأستاذ الدكتور
محمد المختار محمد المهدي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن يستحق الحمد وحده ، وصلاة وسلامًا على من أثرى الفصحى بجوامع كلمه ، وعلى كل من سار على دربه واهتدى بهديه ، إلى يوم نلقى الله فيه خاضعين لحكمه وأمره ؛ أما بعد ..

فاقتناعًا – من خلال الممارسة الطويلة – بأن القواعد الجافة التى تكتفى بمثال أو مثالين لا تلبث أن تتبخر أو تترسب فى قاع الذهن ، ولا تطفو إلا حين يستدعيها المقام ، وحين تطفو لا يكون لها سوى الترداد الأجوف الخالى من الأطر التى ينبغى أن تحتويها .. تعمدت أن أختار – فى هذا العام – تدريس مادة " **الدراسات العربية فى نصوص** " .

كما تخيرت من النصوص ما يجلو لشبابنا الأزهرى – وهو معقد الأمل – بعض معالم دينه ، ومعانى كتابه ، وأخلاق نبيّه ، وفصاحة لغته ، وأهمية القواعد التى يدرسها : نحوًا وصرفًا ، ولغة ، وبلاغة ، فى فهم النص ، واستنباط المعنى ، ودقة أدائه .

كما امتد الهدف إلى الإعراب التفصيلى فى بعض هذه النصوص ليتعود أبناؤنا على إفراغ ما لديهم من قواعد الإعراب فى قوالب نصية يحفظونها ويعون معانيها وأهدافها .

وكان من الأهداف كذلك أن يطلع الطلاب على بعض أساليب الأسلاف ويتمرسوا بفهمها من الآن حتى تكون لهم مرجعًا ومنبعًا وزادًا .

فإن كنت قد أحسنت الاختيار والعرض والشرح والاستنباط ، فذلك فضل الله وحده ، وإلا فمبلغ نفس عذرها مثل منجح ، ومنه وحده نستمد السداد والتوفيق .

الأستاذ الدكتور

محمد المختار محمد المهدي

الفصل الأول

النصوص القرآنية

النص الأول

تقديم

اللجوء إلى الله ، والاستعاذة به من كل ما يؤذى ويضر ، منهج إسلامى رشيد ، ينبع أساسًا من العقيدة الحية التى ترى الله حافظًا وقادرًا وناصرًا ووليًا للذين آمنوا .. وترى كل ما فى الكون خاضعًا مقهورًا لعظمته ، فهو المهيمن وهو المدبر ، ولا راد لما يريد ، ولا معقب لحكمه .

ولما كان الشيطان هو عدونا الأول حيث استعلن بتلك العداوة لآدم وذريته منذ اللحظة الأولى التى رآه فيها بشرًا سويًا فأمر الله أن يسجد له اعترافًا بفضله وتقديرًا لخاصية قبول التعلم والتعليم التى وهبها الله آدم وذريته ، حيث قال اللعين بعد أن أبى واستكبر وكان من الكافرين : ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾[١] ، ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢] ، ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[٣] .

---

(١) سورة الإسراء – الآية ٦١ .
(٢) سورة الإسراء – الآية ٦٢ .
(٣) سورة الأعراف – الآية ١٦ ، ١٧ .

وقد حذرنا القرآن الكريم من فتنته وحيله فقال : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(١) ؛ وقال : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .

ومن هنا كان على المؤمن أن يديم الاستعاذة من الشيطان الرجيم ، وبخاصة حين يبدأ فى عمل خير قد رصد الله له جزاء كبيرًا فى الآخرة فإن الشيطان يغيظه أن يحصل الإنسان على هذا الفضل فيدخل به الجنة وهو يريده معه فى النار – كما سبق – ؛ ومن هنا يأمرنا الله أن نستعيذ به من الشيطان حين نتلو القرآن الكريم ، وذلك حيث يقول ﷻ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾(٣) .

ويشير علينا القرآن الكريم أن ندعو الله دائمًا ، وأن نلجأ إليه من حيل الشياطين : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾(٤) ؛ ذلك أنه لا يقدر عليه سوى ربه ،

---

(١) سورة فاطر – الآية ٦ .
(٢) سورة الأعراف – الآية ٢٧ .
(٣) سورة النحل – الآية ٩٨ .
(٤) سورة المؤمنون – الآية ٩٧ ، ٩٨ .

وبخاصة أنه أتيحت له قدرات لا قبل للإنسان بها ما لم يتحصن بالتقوى والحذر الدائم المتواصل من كيده ، حتى يكون هذا الإنسان من عباد الله المخلصين الذين لا سيطرة للشيطان عليهم .

وما دمنا مأمورين بالاستعاذة قبل قراءة القرآن الكريم ، فلتكن الاستعاذة أول نص نعربه يتبعها إعراب سورة الطارق .

من كتاب " إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم " لإمام اللغة والأدب أبى عبد الله الحسين بن أحمد ، المعروف بابن خالويه ، المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة .

ولم أتدخل فى هذا النص إلا بتصرف يسير ، وبترتيب يتيح حسن الانتفاع منه .

" الاستعاذة "

(**أعوذ**) : فعل مضارع علامة مضارعته الهمزة فى أوله ، وعلامة رفعه ضم آخره ؛ وهو فعل معتل لأن عين الفعل واو ، والأصل : (أعوُذ) فاستثقلوا الضمة على الواو ، فنقلت إلى العين ، فصارت : (أعُوذ) ، وكذلك : أقول وأزول ، وما كان مثله فهذه علته .

حروف المضارعة :

فـ **الهمزة** فى (أعوذ) إخبار عن النفس : أعوذ أنا ؛ و**الياء** : للغائب : يعوذ هو ؛ و**التاء** : للمؤنثة الغائبة : تعوذ هى .. وللمخاطب الشاهد : تعوذ أنت يا رجل ، فإن جعلت الخطاب للمرأة قلت : أنت

تعوذين يا امرأة ، فـ الياء علامة التأنيث ، والنون علامة الرفع لأنها تسقط للجزم إذا قلت : لم تعوذى ، وكذلك للنصب ؛ والنون : للمتكلم ، إذا كان معه غيره : نحن نعوذ ، نحن نقوم .

تصرف الفعل :

فإذا صرفت الفعل قلت : عاذ يعوذ عوذًا فهو عائذ .

فـ عاذ : فعل ماض ؛ ويعوذ : فعل مضارع يصلح لزمانين : الحال والاستقبال ، والماضى لا يصلح إلا لزمان منقض قرب أو بعد .. فإذا دخلت على الفعل المضارع السين أو سوف أزالتاه إلى الاستقبال لا غير ؛ وعوذًا : مصدر ؛ وإن شئت قلت : عاذ معاذًا وعوذة وعياذًا ، كل ذلك صواب[1] ؛ وعائذ : اسم الفاعل ؛ واسم المفعول : معوذ به ؛ والأمر : عذ للمذكر ، وعوذى للمؤنث ، وعوذا للاثنين ، وعوذوا للرجال ، وعذن للنساء .

معناه :

ومعنى أعوذ : أعتصم وأمتنع بالله من الشيطان الرجيم ، وينشد[2] :

أنفى لك اللهم عان راغم ∴ مهما تجشمنى فإنى جاشم

عذت بما عاذ به إبراهم

---

(١) معاذ : مصدر ميمى ؛ وعوذة : اسم مرة ، وكلاهما مما ألحق بالمصادر ؛ أما عوذ وعياذ فهما مصدران عامان كـ صوم وصيام .. وهذه المعلومات التى يذكرها ابن خالويه وإن كانت الآن مشهورة متداولة بين صغار الطلبة ، إلا أن فى ذكرها مزيدًا من التمرين ورفعًا للحجاب الحاجز بين الطلاب وقراءة التراث الذى صوره المغرضون وكأنه طلاسم .

(٢) ينسب إلى زيد بن عمرو بن نفيل ، كما ينسب إلى عبد المطلب ؛ ومعنى تجشمنى : تحملنى ، وعان : ذليل خاضع .

يريد به إبراهيم النبى عليه السلام ، ومن العرب من يقول : إبراهام – وكذلك قرأ ابن عامر – ، وذلك أن إبراهيم اسم أعجمى ، فإذا عربته العرب فإنها تخالف بين ألفاظه .. والعرب تقول : نعوذ بالله من طئة الذليل ، أى أعوذ بالله من أن يطأنى ذليل ؛ ويقال : معاذ الله من ذلك ، ومعاذة الله من ذلك ، وعياذًا بالله من ذلك ، وعوذًا بالله من ذلك ، وعائذًا بالله من ذلك ، معناه : أعوذ بالله من ذلك .

(**بالله**) : جر بباء ألصقت وهى زائدة ، لأنك تقول : (الله) فتسقط الباء ، وحروف الزوائد فى صدر الأسماء ثلاثة : اللام والكاف والباء[1] ، فـ الكاف للتشبيه ، واللام للملك ، والباء للاتصال وللصوق ؛ وموضع الباء نصب ، لأنها قد حلت محل مفعول ، وعلامة جره كسرة الهاء .

والأصل : أعوذ بالإله ، فحذفوا الهمزة اختصارًا ، وأدغموا اللام فى اللام ، فالتشديد من أجل ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾[2] ، الأصل : لكن أنا ، فحذفوا الهمزة اختصارًا ، وأدغموا النون فى النون .

قال الشاعر :

وترميننى بالطرف أى أنت مذنب ∴ وتقلينني لكن إياك لا أقلى

---

(١) لعله يقصد بالزيادة أنها ليست من الكلمة وأنها كلمات مستقلة ، ولا يقصد المعنى الاصطلاحى للزيادة عند النحاة .

(٢) سورة الكهف – الآية ٣٨ .

أراد : لكن أنا – يخاطب امرأة – .

فإن قيل : لم شددت اللام ؟ فقل : للإدغام ، وذلك أن الإدغام في الكلام على ضربين : لقرب المخرجين ، وتجانس الحرفين ؛ فإن قيل : لم لم ينون ؟ فقل : لدخول الألف واللام ، لأن التنوين والإضافة والألف واللام من دلائل الأسماء ، فكل واحد منها يعاقب صاحبيه .

(من) : حرف جر ، وهى لمبتدأ الغاية ، كما أن (إلى) لمنتهى الغاية ؛ فإذا قلت : لزيد من الحائط إلى الحائط ، فقد بيّنت به طرفي ماله ، لأنك ابتدأت بـ من وانتهيت بـ إلى ؛ وكذلك : خرجت من العراق إلى مكة .

وعن ثعلب : إذا قال الرجل : لزيد على من واحد إلى عشرة ، فجائز أن يكون عليه ثمانية إذا أخرجت الحدّين ، وجائز أن يكون عليه عشرة إذا أدخلت الحدّين معًا ، وجائز أن يكون عليه تسعة إذا أخرجت حدًا وأدخلت حدًا .

(الشيطان) : جر بـ من وعلامة جره كسرة النون ؛ فإن قيل لك : لم شددت الشين ؟ فقل : أدغمت فيها اللام ، واللام تدغم فى أربعة عشر حرفًا : فى التاء ، والثاء ، والدال ، والذال ، والراء ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، واللام ، والنون ؛ وإنما صارت اللام تدغم فى أربعة عشر حرفًا – وهى نصف حروف المعجم – لأنها أوسع الحروف مخرجًا ، وهى تخرج من حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان ، وفويق الضاحك والناب

والرباعية والثنية ؛ فلما اتسعت فى الفم وقربت من الحروف أدغمت فيها ، فاعرف ذلك إن شاء الله تعالى .

حافة اللسان : طرفه ، وجمعها : حيف .

فإن قيل : لم فتحت النون فى قولك : من الشيطان ، وكسرت النون فى قولك : عن الشيطان ؟ فالجواب فى ذلك أن النون حركت فيهما لالتقاء الساكنين ، غير أنهم اختاروا الفتح فى (من) لانكسار الميم ، واختاروا الكسر فى (عن) لانفتاح العين ، فأما قولهم : إن الله أمكننى من فلان ، فإنهم كسروا النون مع الهمزة لقلة استعمالهم إياه .

والشيطان يكون (فعلان) من شاط يشيط ، وشاط بقلب ابن آدم وأشاطه أى : أهلكه ، وشاط بقلبه : مال به ؛ ويكون (فيعالاً) من : شطن أى : بعد عن الخير ؛ كما أنه سمى " إبليس " لأنه أبلس من رحمة الله ، أى : يئس ؛ يقال : دار شطون ، أى : بعيدة ، ونوى شطون .

قال أميّة بن أبى الصلت :

أيما شاطن عصاه عكاه ∴ فى وثاق السجون والأغلال

معنى عكاه : شده ، يعنى بذلك سليمان بن داود عليهما السلام، وكل متمرد من الناس ، وغيرهم يقال له : شيطان .

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾[1] ، أى : إلى رؤساء المنافقين والكفار من اليهود .

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٤ .

(الرجيم) : جر ، نعت للشيطان ، علامة جره كسرة الميم ، ولم تنونه لدخول الألف واللام ؛ وشددت الراء لإدغام اللام فيها ، فإن سأل سائل فقال : الشيطان رَجم أو رُجم ؟ فقل لا بل رُجم ، والأصل من الشيطان المرجوم ، فصرف من مفعول إلى فعيل ، لأن الياء أخف من الواو ، كما يقال : كف خصيب ، والأصل : مخصوبة ؛ ولحية دهين ، والأصل : مدهونة ؛ ورجل جريح وصريع .. كل ذلك أصله الواو لأنه مفعول ؛ والمرجوم في اللغة : الملعون المطرود ، فلعنه الله معناه : طرده وأبعده .

قال الشماخ :

وماء قد وردت لوصل أروى ∴ عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا ونفيت عنه ∴ مقام الذئب كالرجل اللعين

والرجم أيضًا : القتل ، كقوله ﷻ : ﴿ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾[1] ؛ والرجم : الشتم ؛ والرجم بالحجارة ، ومنه رجم المحصنات والمحصنين إذا زنوا ؛ والله أعلم .

سورة " الطارق "

قوله تعالى :

- ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ﴾ : الواو حرف قسم ، وحروف القسم أربعة ، أعني الأصول : الواو والباء والتاء والهمزة ؛ كقولك : " والله وبالله ،

---

(١) سورة يس – الآية ١٨ .

وتالله ، وآلله " ، و(السماء) جر بواو القسم ؛ وإنما جرّت الواو لأنها عوَض من الباء ، والتقدير : أحلف بالسماء ، ثم أسقطوا (أحلف) اختصارًا ، إذ كان المعنى مفهومًا ؛ كما ترى رجلاً قد سدّد سهمًا ثم تسمع صوت القرطاس فتقول : القرطاس والله ، أى : أصاب القرطاس .

فإن سأل سائل فقال : " قد قال رسول الله ﷺ : « **لا تحلفوا إلا بالله** »[(١)] فلِمَ جاز الإقسام أن يقع بغير الله ؟ " ، فقُل : التقدير : وربِّ السماء ، وربِّ الفجر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه[(٢)] ؛ وفيه غير هذا مما قد بيّنته فى مواضع .

واعلم أن القسم يحتاج إلى سبعة أشياء : حرف القسم ، والمُقسِم ، والمُقسَم به ، والمُقسَم عليه ، والمُقسَم عنده ، وزمان ، ومكان .

و(السماء) كل ما علاك ؛ ولذلك سمّى سقف البيت سماء ؛ قال الله ﷻ : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾[(٣)] أى : من كان يظن من هؤلاء الكفّار الحسَدَة لمحمد ﷺ أن لن ينصر الله محمدًا ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴾[(٤)] أى : بحبل ﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[(٤)] يعنى :

---

(١) صحيح البخارى – ٢٢٦٥/٥ – من حديث ابن عمر بلفظ : « **أَلاَ إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ ، وَإِلاَّ فَلْيَصْمُتْ** » ؛ وصحيح مسلم – ١٢٦٨/٣ – من حديث عبد الرحمن بن سمرة بلفظ : « **لاَ تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِى وَلاَ بِآبَائِكُمْ** »

(٢) الإجابة الصحيحة أن هذا النهى مخاطب به الخلق ، أما الخالق فله أن يقسم بما شاء على ما شاء ، إظهارًا وتنبيهًا على عظمة المحلوف عليه .

(٣) سورة الحج – الآية ١٥ .

(٤) سورة الحج – الآية ١٥ .

إلى سقف البيت ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾[٤] أى : يختنق ﴿ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾[٤] .

- ﴿ وَٱلطَّارِقِ ﴾ : الواو حرف نَسَق ، و(الطارق) جر نسق بالواو على (السماء) ؛ و(الطارق) النجم ؛ وإنما سُمّى طارقًا لطلوعه ليلاً ، وكل من أتاك ليلاً فقد طرقك ، ولا يكون الطُّروق إلا بالليل ؛ قالت هند :

نَحْـنُ بنـاتُ طـارِقِ ∴ نَمْـشِى علـى النَّمـارِقِ[١]

تعنى : أن أبانا كالنجم فى شرَفه وعُلُوّه ؛ يقال : طَرَق يَطْرُق طُروقًا فهو طارِق ، ويقال للنجم : الشّاهد ؛ قال أبو بَصْرَة الغفارىّ : صلّى بنا رسول الله ﷺ العصر ، فلما انصرف قال : « **إنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ فُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَوَانَوْا فِيهَا وَتَرَكُوهَا ، فَمَنْ صَلاَّهَا مِنْكُمْ أُضْعِفَ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، وَلاَ صَلاَةَ بَعْدَهَا حَتَّى يُرَى الشَّاهِدُ** »[٢] ، فبهذا الحديث احتج من جعل الوُسطى صلاة العصر ، وبقوله : « **شَغَلُونَا عَنْ صَلاَةِ الْوُسْطَى** » ؛ ومن جعلها الغداة احتج أن ابن عباس صلّى الغداة بالبصرة وقنت فيها وقال : " قال الله ﷻ : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[٣] ؛

---

(١) البيت فى لسان العرب – ٢١٧/١٠ ، وهو لهند بنت عتبة ؛ فى الموسوعة الشعرية ينتمى أيضًا إلى كرمة بنت ضلع .

(٢) أخرجه ابن حبان فى صحيحه – ٣٣٤/٤ – من حديث أبى بصرة الغفارى بنحوه ؛ وصحيح مسلم – ٥٦٨/١ – من حديث أبى بصرة الغفارى ؛ والمعجم الكبير – ١٨٣/٤ – من حديث أبى أيوب .

(٣) سورة البقرة – الآية ٢٣٨ .

من جعل الوسطى الظهر قال : " شدة الحر كانت تمنعهم عن الصلاة
ع رسول الله ﷺ ، فقيل : ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾[٣] ، وقبلها
ـلاتان وبعدها كذلك " ؛ وأما قول العامة : " نعوذ بالله من طوارق
ليل والنهار " فغَلَطٌ ، لأن الطُّروق لا يكون إلا بالليل ، والصواب أن
ال : " نعوذ بالله من طوارق الليل وجوارح النهار " ؛ لأن العرب
ول طرقه إذا أتاه ليلاً ، وجَرَحه إذا أتاه نهارًا ؛ ويقال : " آبه " إذا أتاه
هارًا ، و" جَرَحه ، وتأوبَه " مثله .

– ﴿ وَمَآ ﴾ : الواو حرف نَسَق ؛ و(ما) لفظُه لفظُ الاستفهام ،
معناه : التعجب ؛ و(ما) لا صلة لها هاهنا ، وكذلك إذا كانت
ـرطًا أو تعجبًا .

– ﴿ أَدْرَىٰكَ ﴾ : فعل ماض ؛ والألف ألف قَطْع ؛ تقول : " أدْرَى
دْرِى إدراءً فهو مُدْرٍ " ؛ و(الكاف) اسم محمد ﷺ ، في موضع
صْب ؛ حدّثنى ابن مُجاهد عن السِّمَّرِىّ عن الفرّاء قال : " كل ما في
ـتاب الله وما أدراك فقد أدراه ، وما يُدريك فما أدراه بعد " ؛ ومعنى
ـرَى يَدْرِى أى : عَلِم ، وأدْرَى غيرَه أى : أعلمه .

– ﴿ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ : (ما) تَعَجُّب فى معنى الاستفهام ، وهو رفع
الابتداء ؛ و(الطارق) خبره ؛ والتقدير : وما أدراك يا محمد أى
ـىء الطارق .

– ﴿ ٱلنَّجْمُ ﴾ : رفع بدل من (الطارق) ؛ وقيل (النجم) هاهنا

الثُّرَيَّا ؛ فأما قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[١] فمعناه : والقرآن إذا نزل ؛ وأما قوله : ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[٢] فالنجم ما نجم من الأرض ، أى ظهر مما لا يقوم على ساق .

– ﴿ ٱلثَّاقِبُ ﴾ : رفع صفة للنجم ؛ والثاقب : المضىء ؛ قال أبو عبيدة : " تقول العرب : أَثْقِبْ نارك ، أى أضئها " ؛ وقال آخرون : " النجم الثاقب : العالى ؛ يقال : ثَقَب الطائر إذا علا فى الهواء ، وأسَفَّ إذا دنا من الأرض ، ودَوَّم إذا سكَّن جناحيه ليستقِلَّ " .

– ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ : (إن) بمعنى (ما) ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾[٣] ، ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾[٤] معناه : ما أنت إلا نذير ، فـ (إن) بمعنى (ما) ؛ وهو جواب القسم ؛ وأجوبة القسم أربعة : إنّ ، وما ، واللام ، ولا ؛ فحرفان يوجبان وهما إنّ واللام ، وحرفان ينفيان وهما : ما ولا ؛ كقولك : " والله ما قام زيد " و" لقد قام زيد " ؛ و(كل) رفع بالابتداء ؛ و(حافظ) خبره ؛ والتقدير : إن كل نفس إلا عليها حافظ ؛ هذا فى قراءة من قرأ " لمَّا " بالتشديد وهى قراءة أهل الكوفة ؛ ومن قرأ " لمَا " بالتخفيف فـ (ما) صلة ،

---

(١) سورة النجم – الآية ١ .
(٢) سورة الرحمن – الآية ٦ .
(٣) سورة الملك – الآية ٢٠ .
(٤) سورة فاطر – الآية ٢٣ .

والتقدير : إن كل نفس لعليها حافظ[١] .

- ﴿ فَلْيَنظُرِ ﴾ : الفاء حرف نسق ، وتكون جوابًا لكلام متقـدم ؛ و(لينظر) مجزوم بلام الأمر ، والأصل : فلينظر – بكسر الـلام – ، كما قال الله تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[٢] ، وإنما أُسكنت اللام لاتصالها بالفاء تخفيفًا ، وكذلك إذا تقـدمتها واو جـاز الإسـكان والكسر ، وكذلك (ثم) ؛ كقوله : ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾[٣] ، ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾[٤] ؛ كل ذلك صواب ، وقد قـرئ بـه ، والكسر الأصل ، والسكون عارض ؛ فلو قرأ قارئ " فَلِيَنْظُرِ الإنْسانُ " – بكسر اللام – لكان سائغًا فى العربية ، غير أنه لا يُقرأ بـه ، إذ لـم يتقدم له إمام ، والقراءة سنة يأخذها آخر عن أول ، ولا تُحمَـل علـى قياس العربية ؛ فإن سأل سائل : ما الفرق بين قوله تعـالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٥] وبين ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾[٦] وهما أمران ؟ هلا حَذفْتَ اللام من (فلينظر) وأثبتَّها فى قل ؟ فالجواب فى ذلك أن الأمر قد كثُر فى كلامهم للمواجَهِ المُخاطب وقَلّ ذلك للغائب ، فاستخفوا طـرْح اللام

---

(١) و" إن " حينئذ مخففة من الثقيلة ، ويجوز فى " ما " أن تكون موصـولة ، وجملـة " عليها حافظ " صلتها أو نكرة موصولة ، والتقدير : إنّ كل نفس لشىء عليه حافظ .
(٢) سورة الطلاق – الآية ٧ .
(٣) سورة الحج – الآية ١٥ .
(٤) سورة الحج – الآية ٢٩ .
(٥) سورة الإخلاص – الآية ١ .
(٦) سورة الطارق – الآية ٥ .

وحـــرف المضارع من الأمر للمخاطَب ، وقالوا : " قُل " ولم يقـــولوا : " لِتَقُل " ، وقالوا : " اضرِب " ولم يقولوا : " لِتَضرِب " ؛ على أنه قـــد قُرِئ : ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْتَفْرَحُواْ ﴾[١] بالتاء على أصل الأمر ؛ والاختيار عند جميع النحويين حذف اللام إذا أمرتَ حاضرًا ، وإثباتُها إذا أمـــرتَ غائبًا ؛ وربّما اضطر شاعر فحذف من الغائب ، قال الشاعر :

مُحَمَّـــد تَفد نَفسَـــكَ كُلُّ نَفـــسٍ ∴ إذا ما خِفـــتَ مِن شَيءٍ تَبالا[٢]

أراد : لِتَفْدِ فحذف .

– ﴿ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ : رفع بفعله ، وهو واحد فى معنى جماعة ؛ قـــال الله ﷻ : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[٣] فاستثنى (الذين آمنوا) من الإنسان ؛ ولو كان واحدًا مـــا جاز الاستثناء منه ؛ وقال سيبويه : " من العـــرب من يجمـــع إنـــسانًا أناسيَة " ؛ وأما قوله تعـــالى : ﴿ وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾[٤] فقيل : واحـــدها إنسِىّ ، وقيل : إنسان ؛ والعرب تقول للرجل : إنسان ، وللمرأة إنسان ؛

---

(١) سورة الحج – الآية ١٥ .

(٢) البيت من الوافر ، وهو لأبى طالب فى شرح شذور الـــذهب – ص٢٧٥ ، ولـــه أو للأعشى فى خزانة الأدب – ١١/٩ ، والإنـــصاف – ٥٣/٢ ، والجنـــى الـــدانى – ص١١٣ ، ورصف المبانى – ص٢٥٦ ، وسر صناعة الإعراب – ٣٩١/١ ، وشرح المفصل – ٣٥/٧ ، والمقتضب – ١٣٢/٢ ، والمقرب – ٢٧٢/١ .
الشاهد فيه : " تفد " ، يريد : لتفد ، فأضمر لام الأمر .

(٣) سورة العصر – الآية ١ – ٣ .

(٤) سورة الفرقان – الآية ٤٩ .

وربما أثبتوا الهاء تأكيدًا لرفع اللّبس فقالوا : كلّم إنسان إنسانة ؛ قال الشاعر :

إنسانةٌ تَسْقيكَ مِن إنسانِها ∴ خمرًا حلالاً مُقْلَتاها عِنَبُه

والعرب تقول فى تأكيد المؤنث – وإن لم يُحسّوا لَبسًا – : عَجوزةٌ ، وأتانةٌ ، وامرأةٌ أُنثى ؛ يقال : امرأةٌ أُنْثَى ، أى : حسناء ؛ ومن التأكيد أيضًا قولهم : رَجَلٌ ورَجُلَةٌ ، وشيخ وشيخة ؛ قال الشاعر :

هَتَكُوا جَيْبَ فَتاتِهُمُ ∴ لَم يُبالُوا صولة الرَّجُلَه[1]

– ﴿ مِمَّ خُلِقَ ﴾ : الأصل : مِن ما خُلق ، أى : من أىّ شىء خُلق ؛ فأدغمت النون فى الميم ، وحذفت الألف من (ما) فى الاستفهام مع (مِن) و(عَن) ، كقوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾[2] ، ومع (اللام) كقوله : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ ﴾[3] ، ومع (فى) كقوله : ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾[4] ؛ والأصل فى ذلك كله : لِما وعَمّا وفيما ومِمّا ؛ وكذلك يحذفون من عَلامَ وحَتَّامَ ؛ وقد جوّدت ذلك فى كتاب الماءات ؛ فـ (ما) جَرٌ بـ (مِن) ، ولا يتبيّن فيه الإعراب ، لأنه اسم ناقص[5] ؛

---

(١) البيت من المديد ، وهو بلا نسبة فى شرح شواهد الإيضاح – ص٤١٦ ؛ وشرح المفصل – ٩٨/٥ ؛ ولسان العرب – ٢٦٦/١١ " رجل " .
الشاهد فيه : " الرجلة " حيث أنث " الرجل " بتاء التأنيث ، فرقًا بين جنس المذكر وجنس المؤنث .

(٢) سورة النبأ – الآية ١ .

(٣) سورة الأعراف – الآية ١٦٤ .

(٤) سورة النازعات – الآية ٤٣ .

(٥) يريد بالناقص : المبنى .

و(خُلِق) فعل ماض ، وهو فعل ما لم يُسمّ فاعله ؛ وعلامه ما لَم يُسمّ فاعله ضمُّك أوّل الفعل ؛ فلو صرّفت قلت : خُلِق يُخلَق خَلْقًا فهو مخلوق ، والفاعل : الخالِق ، والأمر : لِيُخلَق باللام لا غير ؛ لأنّ ما لم يُسمّ فاعله كالغائب ؛ وإذا سَمّيْت الفاعل قلت : خلَقَ يَخلُق ، والأمر : اخلُق ؛ وكل من قدّر شيئًا فقد خلَقه ، والله تعالى أحسن الخالقين ؛ وأُنْشِدَ :

فَلأَنتَ تَفرِى ما خَلَقتَ وبَعْـ ∴ ـضُ القَومِ يَخلُقُ ثُمَّ لا يَفرِى

قال ابن خالويه : يَفْرِى – بفتح الياء – : يقطع على جهة الإصلاح ، ويُفرِى : على جهة الإفساد ؛ والضمير فى خُلِق مفعول فى الأصل قد أقيم مُقام الفاعل ؛ ثم بيّن الله ﷻ من أى شىء خُلِق عظة للعباد ومَن استنكف عن العبادة ، أنّه خلَقهم من ماء ضعيف مهين وهو النُطفة إلى أن جعلهم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظامًا ، ثم كسا العظام لحمًا ، ثم أنشأه خلقًا آخر ، وهو من حين دبّ ودرج إلى أن نهض وقام ونبتت لحيته وإبطه ، فذلك الخلق الآخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، فقال :

– ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ : والماء الدافق فاعل فى اللفظ مفعول فى المعنى ، ومعناه من ماء مدفوق أى مصبوب ؛ يقال : دفَق ماءه وسَفَحه وسكَبه وصبّه بمعنى واحد ، وكذلك زكَم بنُطفته : رمى بها ، ويقال : زُكْمة أبيه ، مثل : عُجْزة أبيه ، يعنى : آخر ولد أبيه ؛ من ماء دافق : فـ (مِن) حرف جر ، و(ماء) جر بـ (من) ، علامة جره كسرة الهمزة ؛ وهذه الهمزة مبدلة من هاء ؛ وذلك أن الأصل فى ماء :

مَوَة ، فقلبوا من الواو ألفًا فصار : ماه ، ثم أبدلوا من الهاء همزة فصار : ماء – كما ترى – .

– ﴿ يَخْرُجُ ﴾ : فعل مضارع ، علامه رفعه ضم آخره .

– ﴿ مِنْ بَيْنِ ﴾ : (مِن) حرف جر ؛ (بين) جر بـ (من) ؛ والبين في اللغة : الوصل ؛ قال الله تعالى : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾[(١)] أي : وصلكم ؛ والبين : الفراق ؛ يقال : بانَه يَبينه بينًا ، وبانه يبُونه بَوْنًا ؛ ويقال : بين الرّجُلين بينٌ بعيد ، وبَوْنٌ بعيد ؛ فأمّا جلست بين الحائطين فظرف من المكان ، ولابد أن يقع على شيئين ؛ فمحال أن تقول : جلست بين الرجل ، وإنما الصواب : بين الرجلين ، أو بين الرجال ؛ فأمّا قوله تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[(٢)] فإنما وقع (بين) على (أحد) ، لأن (أحد) في معنى جميع الناس ؛ وأما قول امرئ القيس : " بين الدّخول فَحَوْمَل " فكان الأصمعي[(٣)] يُنشده بالواو .

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٤٩ ؛ ويبدو أن المؤلف يتحدث عن قراءة الرفع في " بينكم " ، وأما آية الطارق فـ " بين " فيها ظرف .

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٨٥ .

(٣) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد الأصمعي : راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، نسبته إلى جده أصمع ، ومولده ووفاته في البصرة ، كان كثير التطواف في البوادي ، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ويتحف بها الخلفاء ، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة ، أخباره كثيرة جدًا ، وكان الرشيد يسميه " شيطان الشعر " – الأعلام – ٢١٦٢/٤ ؛ والسيرافي – ٥٨ ؛ وجمهرة الأنساب – ٢٣٤ ، وفيه نسبه إلى مالك بن أعصر ، من قيس عيلان ؛ والمنتقى من أخبار =

قال ابن السكِّيت[1] : " أراد بين أهل الدّخُول فحَوْمَل " .

- ﴿ ٱلصُّلْبِ ﴾ : جر بإضافة البين إليه ؛ وأهل الكوفة يسمون (بين) حرف جر ، وهذا غلط ؛ لو كان حرف جَرّ ما دخل عليه حرف جر ؛ لأن الحروف لا تدخل على الحروف فتُعربها ؛ ويقال : الصُّلب والصَّلب والصالب بمعنى واحد ؛ فالماء الدافق يخرج من بين صُلْب الرجل وتَرِيبة المرأة ؛ والتَّرِيبة مُعلَّق الحلْى على الصدر ، وجمع التَّرِيبة تَرَائب ؛ قال الشاعر :

مُهَفهَفَةٌ بَيضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ ∴ تَرائِبُها مَصقولَةٌ كَالسَجَنجَلِ[2]

يعنى : المِرْآة ؛ ويقال : تَرِيب - بغير هاء - ؛ وأُنشد للمُثَقَّب العَبْدىّ[3] :

= الأصمعى ، وفى مقدمته ترجمة وافية له ، وكثير من أخباره ؛ وابن خلكان - ٢٨٨/١ ؛ وتاريخ بغداد - ٤١٠/١٠ ح .

(١) يعقوب بن إسحاق أبو يوسف ابن الكيت : إمام فى اللغة والأدب ، أصله من خوزستان " بين البصرة وفارس " ، تعلم ببغداد ، واتصل بالمتوكل العباس فعهد إليه بتأديب أولاده ، وجعله فى عداد ندمائه ، ثم قتله لسبب مجهول ؛ قيل : سأله عن ابنيه المعتز والمؤيد : أهما أحب إليه أم الحسن والحسين ؟ فقال ابن السكيت : " والله إن قنبرًا خادم على خير منك ومن ابنيك ؛ فأمر الأتراك فداسوا بطنه ، من كتبه " اصلاح المنطق - ط " ، و" الألفاظ - ط " ، و" الأضداد - ط " ؛ راجع الأعلام - ١٩٥/٨ ؛ دائرة المعارف الإسلامية - ٢٠٠/١ ؛ هدية العارفين - ٥٣٦/٢ .

(٢) البيت فى لسان العرب - ٢٣٠/١ ، ٣٢٧/١١ ، وهو لامرئ القيس .

(٣) العائذ بن محصن بن ثعلبة ، من بنى عبد القيس من ربيعة : شاعر جاهلى من أهل البحرين ، اتصل بالملك عمرو بن هند ، وله فيه مدائح ، ومدح النعمان بن المنذر ، وشعره جيد فيه حكمة ورقة ، جمع بعضه فى " ديوان - ط " ، وقيل : اسمه محض بن ثعلبة - الأعلام - ٢٣٩/٣ .

وَمِن ذَهَــبٍ يَلــوحُ عَلى تَريبٍ ∴ كَلَونِ العاجِ لَيسَ بِذى غُضونِ[1]

فماء الرجل أبيض ثخين ، يُخلَق منه عظم الولد وعصبه ؛ ومــاء المرأة أصفر رقيقٌ يكون منه اللحم والدم ؛ فإذا التقى الماءان فغلب ماء الرجــل ماء المرأة أذكَرَا بإذن الله ، وإذا غلَب ماء المرأة ماء الرجــل آنثَا بإذن الله .

– ﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ : نسق على الصُّلب بالواو ؛ فإن قيل : لِمَ لم يَقُل : يخرُج من بين الصُّلب والتريبة ؟ فكيف جمَع أحدَهما ووحّــد الآخــر ؟ فالجواب فى ذلك أن صدر المرأة هو تَرِيبتُها ، فيقال للمرأة : ترائب ، يُعنَى بها : التَّرِيبة وما حواليها وأحاط بها ؛ وكذلك العرب تقول : " رأيت خلاخيل المرأة وثُديَّها " ، وإنما لها ثَديان وخَلخالان ؛ وفيه جواب آخر وهو أن يكون أراد تعالى : يخرُج من بين الأصلاب والتَّرائب ، فاكتفى بالواحد عن الجماعة ، كما قال تعــالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾[2] ولم يقل والأرَضين .

– ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ : (إن) حرف نصب ، والهــاء نصب بــ (إن) ، ولا علامة فيه لأنه مكنىّ[3] والمكنىّ لا يُعرب ، لأن المكنىّ يُضارع المُبهم ، إذ كان كل واحد منهما يقع على أشياء مختلفة ؛ كقــولك : " دخلتُــها " تُريد : الدار ، و" اشتريتها " تريد : الجــارية ؛

---

(١) البيت فى لسان العرب – ١/٢٣٠ ، وهو للمثقب العبدى ، مادة " ترب " .
(٢) سورة الأنبياء – الآية ٣٠ .
(٣) المكنىّ هو الضمير .

فأشبهت الحروف فزال الإعراب عنها ؛ والهاء كناية عـن الله ، أى إنّ الله تعالى قادر على رجع الماء ورده فى الإحليل ؛ (على) حرف جر ؛ (رجعه) جر بـ (على) ، والهاء جر بالإضافة ، وهو كنايـة عـن الماء ؛ قال أبو عبيدة : " يُقال للمطر : الرَّجْع " ؛ (لقادر) الـلام لام التأكيد ، ويقال تحتها يمين مُقدّرة ، والمعنى : إنه على رَجْعه والله لقادر و(قادر) رفع خبر إنّ ؛ والله تعالى قادر وقدير ، مثل عالم وعليم .

– ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ : (يوم) نصب على الظـرف ؛ فإن قيل : لِمَ لم تُنوِّنه ويوم ينصرف ؟ فقل : أسماء الزمان تُـضاف إلـى الأفعال ، كقولك : " جئتُك يوم خرج الأمير ، ويـوم يخـرج " ؛ ولا يجوز : " هذا زيد يخرج " بغير تنوين ، إنما يكون ذلـك فـى أسـماء الزمـان ؛ قال الله ﷻ : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[1] ، ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ ﴾[2] ؛ و(تبلى) فعل مضارع ، أى : تُختبر ، والابتلاء : الاختبار ، قال تعالى : ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[3] وهو فعل ما لم يُسمّ فاعله ؛ و(السرائر) جمع سريرة ؛ وإنما هُمـزت الياء فى الجمع وليس فى الواحد همز ، لأن فى الجمع قبل اليـاء ألفًـا وهى ساكنة ، فاجتمع ساكنان ، فقلَبوا الياء همزة وكـسروها لالتقـاء الساكنين ، ومثله : قبيلة وقبائل ؛ فإن كانت الياء أصلية نحو : معيشة ،

---

(١) سورة المائدة – الآية ١١٩ .
(٢) سورة الانفطار – الآية ١٩ .
(٣) سورة البقرة – الآية ٤٩ .

لم تُهمز فى الجمع ، قال الله تعـالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[1] .

– ﴿ فَمَا لَهُ ﴾ : الفاء تكون جوابًا ونَسَقًا ؛ و(ما) جَحْد بمعنى : ليس ؛ و(له) الهاء جر باللام الزائدة ؛ فإن سأل سائل : لِم فُتحت اللام فى (له) ؟ فقل : إذا ولَيه مكنِىّ فُتحت ، وإذا ولِيه ظـاهر كُـسِرت ؛ كقـولك : لِزيْدٍ ولِعمرٍو ؛ و(مالَهُ) بكماله يسمّى اسـتفهامًا فى غيـر هذا الموضع .

– ﴿ مِن قُوَّةٍ ﴾ : (من) حرف جر ؛ (قوة) جر بـ (مـن) ، علامة جره كسر آخره ؛ وموضع (مِن) رفع ، لأن (مِن) زائـدة ، والأصل : فما له قوة ؛ كما تقول : ما فى الدار رجل ، وما فى الـدار من رجل ؛ وشُدِّدت الواو فى قوّة لأنهما واوان ؛ فإذا رددته إلى نفـسك قلت : قَوِيت ، فقلبت من الواو ياء كراهية أن تجمع بين واوين لو قلت : قَوِوْت ، فبنوا الفعل على فَعِل – بكسر العين – لتصير الواو ياء .

– ﴿ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ : (ولا) حرف نسق ؛ و(ناصر) جر نـسق على قوة ؛ فالفاعل : ناصر ، والمفعول به : منصور ؛ ويقـال نـصر المطر أرض بنى فلان فهى منصورة ، ونصرْت أنا أرض كـذا أى : قصدتها ؛ وأُنْشد :

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٠ .

إذا انسلَخَ الشهرُ الحَرامُ فَوَدِّعى ∴ بِلادَ تَميمٍ وَانصُرى أرضَ عامرِ[١]

ووقف أعرابى يسأل الناس فى الجامع فقال : " مَن نصرنى نصره الله " أى : أعطانى .

- ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ﴾ : جر بواو القسم .

- ﴿ ذَاتِ ﴾ : نعت للسماء ؛ والسماء مؤنثة لأن تصغيرها سُمَيَّة ؛ وبها سُمِّيت المرأة ؛ لأن العرب تُسمّى النساء بما تستحسنه ، ويُسمّون المرأة مهاة وهى البلّورة ، ويقولون : " هى والله أحسن من السماء ، وأشهى من الماء " ؛ و" هى والله أحسن من النار المُوقدة " ؛ ويقال : أحسن ما تكون المرأة غِبّ السماء ، وغِبّ النّفاس ، وغب البِناء عليها .

- ﴿ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾ : (ذات) نعت للسماء ؛ و(الرجع) جر بـ (ذات) ، ومعناه أن الله أقسم بأعظم الأشياء منفعة ، فذات الرجع السماء ، والرجع : المطر .

- ﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ : الصدع : النبات ؛ وأُنشد :

والأرضُ لا تَضْحَكُ عَنْ نَباتِها ∴ إلا إذا ناح السماءُ وبكَى

فبُكاء السماء : المطر ، وضَحِك الأرض : تفطّرها بالنبات ؛ وتقول العرب : " انشقت الأرض " إذا انفطرت بالنبات ؛ وحدّثنى أبو عُمر عن ثعلب عن ابن الأعرابىّ قال : " كل مطر يثبُت فى الأرض

---

(١) لم أعثر عليه ، وفى هامش الهلال ، وهو للراعى النميرى .

فهو رجع ، يقال للغدير : رجْع ورُجعان ورِجعان ورَجيع ؛ ويقال : رَجَعْتُ يدى وأرجعتُها ، ورَجَعْتُ فلانًا وأرْجَعتُه .

- ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ : (إنه) جواب القسم ؛ (لقول) اللام لام التأكيد ، و(قول) رفع بخبر (إنّ) ، والهاء اسم (إنّ) ؛ و(فصل) نعت للقول .

- ﴿ وَمَا ﴾ : الواو حرف نسق ، و(ما) جحد بمنزلة ليس ، ترفع الاسم وتنصب الخبر إذا لم تكن فى خبرها الباء ، كقولك : " ما زيدٌ بِقائم " ، و" ليس زيدٌ بقائم ؛ فإذا أسقطت الباء نصبت فقلت : " ما زيدٌ قائمًا " ، و" ما هذا بَشَرًا " ؛ وهذا الباب قد أحكمناه فى كتاب المُبتدئ ؛ فإن قلت : " ما زيدٌ إلا قائم " لم يكن إلا الرفع ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾[1] ، هذا قول النحويين إلا الفرّاء فإنه أجاز النصب مع إضمار فعل وشبهه ؛ تقول العرب : " إنما العامرىّ عِمّتَه " أى : يتعهد عمته .

- ﴿ هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ : رفع بـ (ما) ؛ و(بالهزل) خبره ؛ ولو أسقطت الباء لقُلتَ : وما هو هزلاً ، كما قال تعالى : ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ﴾[2] – بكسر التاء – نصب فى موضع الخبر ، وحدّثنى ابن

---

(١) سورة القمر – الآية ٥٠ .
(٢) سورة المجادلة – الآية ٢ .

مُجاهد عن السِّمَّــرِىّ عن الفرّاء قال : " فى حرف عبد الله بن مسعود : " ما هُنَّ بِأُمَّهاتِهِم " بزيادة باء ؛ فأمّا بنو تميم فإنّهم إذا أسـقطوا البـاء رفعوا خبر (ما) فقالوا : " ما زيــدٌ قــائمٌ " ؛ وروى المُفــضّل عــن عاصم[1] : " ما هُنَّ أُمَّهاتُهُم " ؛ وأُنشد :

لَشتَّان ما أنْوِى ويَنْوِى بَنُو أبِى ∴ جميعًا فمــا هــذَان مُسْــتَوِيان
تَمَنَّوْا لِىَ المَوْتَ الذى يَشْعَبُ الفَتَى ∴ وكُلُّ فَتًى والمــوتُ يَلْتقِــيان[2]

- ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ : (إنّ) حرف نــصب ؛ والهــاء والميم نصب بــ (إنّ) ولا علامة فيه لأنه مكنىّ ؛ و(يكيدون) فعــل مضارع وهو خبر (إنّ) ؛ والواو ضمير الفاعلين ؛ والنــون علامــة الرفع ؛ و(كيدًا) نصب على المصدر ، فإذا صرّفت قلت : كاد يكيــد كيدًا فهو كائد ، والمفعول به : مكيد ، مثل : كِلْتُ الطعام أكيل كــيلاً ، فأنا كائلٌ والطعام مكيل .

- ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ : نسق على الأوّل .

- ﴿ فَمَهِّلِ ﴾ : موقوف لأنه أمر ؛ ومجزوم فى قول الكــوفيين ؛

---

(١) عاصم بن أبى النجود بن بهدلة الكوفى الأسدى بالولاء ، أبو بكر : أحد القراء السبعة تابعى من أهل الكوفة ، ووفاته فيها ، كان ثقة فى القراءات ، صدوقًا فى الحــديث ، قيل : اسم أبيه عبيد ، وبهدلة اسم أمه – الأعلام – ٢٤٨/٣ ؛ تهــذيب التهــذيب – ٣٨/٥ ؛ غاية النهاية – ٣٤٦/١ ؛ ميزان الاعتدال – ٥/٢ .

(٢) البيتان من الطويل ، وهما للفرزدق ، فى شرح التــصريح – ١٨٠/١ ؛ والمقاصــد النحوية – ٥٤٣/١ ؛ وليس فى ديوانه ؛ وبلا نسبة فى أوضح المــسالك – ٢٢٤/١ ؛ وتخليص الشواهد – ص٢١١ ؛ وخزانة الأدب – ٢٨٣/٦ ؛ وشــرح الأشــمونى – ١٤٥/١ .

وهما لغتان : مَهِّل وأمْهل ، مثل : كرّم وأكرم ، غير أن كرّم ومهّل أبلغ .

- ﴿ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ : مفعول بهم ، علامة النصب الياء التـــى قبـــل النون ؛ وفى الياء ثلاث علامات : علامة النصب ، وعلامة الجمـــع ، وعلامة التذكير .

فإذا صرّفت الفعل قلت : مَهّل يُمَهّل تَمْهيلاً فهو مُمَهّل ، ومِن أمْهَل يُمْهِل إمْهالاً فهو مُمْهِل .

- ﴿ أَمْهِلْهُمْ ﴾ : أمر تأكيد للأول ؛ والهاء والميم مفعـــول كنايـــة عن الكافرين .

- ﴿ رُوَيْدًا ﴾ : نصب على المصدر ؛ والأصل : إروادًا ؛ فرُوَيْد تصغير إرواد ؛ ورويدًا إنما هو الإمهال والتمكُّث ؛ يقال : امش مـــشيًا رويدًا أى : لا تستعجل .

النص الثانى

تقديم

ومن المعروف لدى كل مسلم أن القرآن الكريم لا يمكن أن يقع فيه اختلاف أو تناقض ، بل إنه تحدى بذلك ، وجعل عدم اختلافه دليلاً على أنه من عند الله فقال : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾(١) ؛ ذلك أنه صادر عن الله ﷻ ، وكل ما صدر عن الله فهو تام كامل سواء كان ذلك قولاً أم فعلاً .

قال تعالى : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(٢) .

وقال عن القرآن الكريم : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٣) ؛ هذه حقيقة ساطعة ، غير أن النظر السطحى الذى لا يتخذ التدبر والتأمل منهجه ، قد يقع على ما ظاهره الاختلاف ؛ والإمام الزركشى فى هذا النص وفى غيره ينبّه إلى

---

(١) سورة النساء – الآية ٨٢ .
(٢) سورة الملك – الآية ٣ ، ٤ .
(٣) سورة فصلت – الآية ٤٢ .

أن قليلاً من الفهم والوعى والإلمام بما ورد فى القــرآن الكــريم فــى مناسبات مختلفة يزيل ما قد يطرأ على الذهن من توهم الاختلاف .

الأسباب الموهمة للاختلاف

من كتاب " البرهان فى علوم القرآن "[١] للإمام الزركشى المدفون بالقاهرة سنة أربع وتسعين وسبعمائة :

" **وللاختلاف أسباب** :

السبب الأول : وقوع المخبر به على أحوال مختلفة ، وتطــويرات شتى ، كقوله تعالى فى خلق آدم أنه ﴿ **مِن تُرَابٍ** ﴾[٢] ، ومــرة ﴿ **مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾[٣] ، ومـــرة ﴿ **مِّن طِينٍ لَّازِبٍ** ﴾[٤] ، ومـــرة ﴿ **مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾[٥] .

وهذه الألفاظ مختلفة ، ومعانيها فى أحوال مختلفة ، لأن الصلصال غير الحمأ ، والحمأ غير التراب ، إلا أن مرجعها كلهــا إلــى جــوهر التراب ، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ** ﴾[٦] ، وفى موضع :

---

(١) جـ٢ ص٥٤ .
(٢) سورة آل عمران – الآية ٥٩ .
(٣) سورة الحجر – الآية ٢٦ .
(٤) سورة الصافات – الآية ١١ .
(٥) سورة الرحمن – الآية ١٤ .
(٦) سورة الأعراف – الآية ١٠٧ .

﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾[١] ؛ والجان : الصغير من الحيّات ، والثعبان : الكبير منها ، وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته .

السبب الثانى : لاختلاف الموضوع ، كقوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾[٢] ، وقوله : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٣] ، مع قوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾[٤] ؛ قال الحليمى : " فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل ، والثانية على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه " ؛ وحمله غيره على اختلاف الأماكن ، لأن فى القيامة مواقف كثيرة ، فموضع يُسأل ويُناقش ، وموضع يُرحم ويُلطف به ، وموضع آخر يُعنّف ويُوبّخ – وهم الكفار – وموضع آخر لا يُعنف – وهم المؤمنون – .

وقوله : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[٥] ، مع قوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٦] .

---

(١) سورة النمل – الآية ١٠ .
(٢) سورة الصافات – الآية ٢٤ .
(٣) سورة الأعراف – الآية ٦ .
(٤) سورة الرحمن – الآية ٣٩ .
(٥) سورة البقرة – الآية ١٧٤ .
(٦) سورة الحجر – الآية ٩٢ ، ٩٣ .

وقيل : المنفى كلام التلطف والإكرام ، والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة ، فلا تنافى .

وكقوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[1] ، مع قوله : ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾[2] ؛ والجواب أن التضعيف هنا ليس على حد التضعيف فى الحسنات ، بل هو راجع لتضاعيف مرتكباتهم ، فكان لكل مرتكب منها عذاب يخصه ، فليس التضعيف من هذا الطريق على ما هو فى الطريق الآخر ، وإنما المراد هنا تكثيره بحسب كثرة المجترحات لا أن السيئة الواحدة يضاعف الجزاء عليها ، بدليل سياق تلك الآية ، وهو قوله : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[3] .

فهؤلاء كذبوا على ربهم ، وصدوا عن سبيله ، وبغوا عوجًا ، وكفروا ، فهذه مرتكبات عذبوا بكل مرتكب فيها .

وكقوله : ﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا

---

(١) سورة الشورى – الآية ٤٠ .
(٢) سورة هود – الآية ٢٠ .
(٣) سورة هود – الآية ١٨ ، ١٩ .

كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[١] ، مع قولــه : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾[٢] ، فإن الأولى تقتضى أنهم كتموا كفرهم السابق ؛ والجواب من وجهين :

أحدهما : أن للقيامة مواطن ، ففى بعضها يقع منهم الكذب ، وفــى بعضها لا يقع .

والثانى : أن الكذب يكون بأقوالهم ، والصدق يكون من جوارحهم فيأمرها الله تعالى بالنطق فتنطق بالصدق .

وكقـــوله : ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾[٣] ، مــع قولــه : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[٤] ؛ والجــواب أن المراد : لا تكسب شرًا ولا إثمًا ؛ أو ضمن معنى (تجنــى) ، وهــذه الآية اقتصر منها على الشر ، والأخرى ذُكر فيها الأمران ؛ ولهذا لمــا ذكر القسمين ، ذكر ما يميز أحدهما عن الآخر ، وهاهنا لما كان المراد ذكر أحدهما اقتصر عليه بــ (فعل) ولم يأت بــ (افتعل) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾[٥] ، مع قوله فى أواخر السورة : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾[٦] ، فالأولى تفهم إمكــان العــدل ، والثانيــة تنفيــه ؛

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٢٣ .
(٢) سورة النساء – الآية ٤٢ .
(٣) سورة الأنعام – الآية ١٦٤ .
(٤) سورة البقرة – الآية ٢٨٦ .
(٥) سورة النساء – الآية ٣ .
(٦) سورة النساء – الآية ١٢٩ .

والجواب : أن المراد بالعدل فى الأولى : العــدل بين الأزواج فى توفية حقوقهن ، وهذا ممكن الوقــوع وعدمه ، والمراد فى الثانيــة : الميــل القلبى ، فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض زوجاته دون بعض ؛ وقد كان ﷺ يقسم بين نسائه ثم يقول : « **اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِى فِيمَا أَمْلِكُ فَلاَ تَلُمْنِى فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ** »[1] يعنى ميل القلب .

وقد يحتاج الاختلاف إلى تقدير ، فيرتفع به الإشكال كقوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[2] ؛ ثم قال : ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2] .

والأصل فى الأولى : وفضل الله المجاهدين على القاعدين من أولى الضرر درجة .

والأصل فى الثانية : وفضل الله المجاهدين علــى القاعــدين مــن الأصحاء درجات .

وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[3] ، مع قوله :

---

(١) سنن أبى داود – كتاب النكاح – باب فى القسم بين النساء – حديث رقم ٢١٣٤ .
(٢) سورة النساء – الآية ٩٥ .
(٣) سورة الأعراف – الآية ٢٨ .

﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾[١] ؛ والمعنى : أمرناهم وملكناهم وأردنا منهم الصلاح فأفسدوا[٢] .

السبب الثالث : لاختلافهما فى جهتى الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾[٣] .

أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة ، ونفاه عنهم باعتبار التأثير ؛ وهكذا قوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[٣] ، أى : ما رميت خلقًا إذ رميت كسبًا ؛ وقيل إن الرمى يشتمل على القبض والإرسال ، وهما بكسب الرامى ، وعلى التبليغ والإصابة ، وهما بفعل الله ﷻ .

ومثله قوله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[٥] ، فقيام الانتصاب لا ينافى القيام بالأمر ، لاختلاف جهتى الفعل .

---

(١) سورة الإسراء – الآية ١٦ .
(٢) هذا المعنى سليم فى قراءة من شدد الميم ، أما من خففها – كقراءة حفص – فهى من أمر الشىء يأمر ، من باب " فرح " ، بمعنى : كثر ، ويعدى بتغيير الصيغة إلى باب " قتل " فيؤدى معنى : التكثير ؛ ويعدى بالهمزة كذلك لنفس المعنى ، فيقال ك آمرنا ، بمعنى : كثرنا – وهى قراءة يعقوب – ؛ وقد علل بعض العلماء لقراءة حفص بأنها من الأمر مع حذف المأمور به ؛ أى : أمرنا بالطاعة ففسقوا ؛ راجع المصباح المنير ، والجمهرة ، والمهذب فى القراءات العشر ص٣٨١ ؛ وحجة ابن خالويه ص٢١٤ .
(٣) سورة الأنفال – الآية ١٧ .
(٤) سورة النساء – الآية ٣٤ .
(٥) سورة البقرة – الآية ٢٣٨ .

السبب الرابع : لاختلافها فى الحقيقة والمجاز ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾[1] ؛ وقولــــه : ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾[2] ، أى : وتــرى النـــاس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازًا ، وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة ؛ ومثله فى الاعتبارين قولـــه تعـــالى : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[3] ؛ وقولـــه : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[4] ؛ وقوله : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[5] ، فإنه لا يلزم من نفى النظر نفى الإبصار لجواز قولهم : نظرت إليه فلم أُبصره .

السبب الخامس : بوجهين واعتبارين ، وهو الجــامع للمفترقــات كقوله : ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[6] ؛ وقولــه : ﴿ خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾[7] ، قال قطرب : " فبصرك أى : علمــك ومعرفتك بها قوية ، من قولهم : بصر بكذا وكذا ، أى : علم ؛ ولــيس

---

(١) سورة الحج – الآية ٢ .
(٢) سورة إبراهيم – الآية ١٧ .
(٣) سورة البقرة – الآية ٨ .
(٤) سورة الأنفال – الآية ٢١ .
(٥) سورة الأعراف – الآية ١٩٨ .
(٦) سورة ق – الآية ٢٢ .
(٧) سورة الشورى – الآية ٤٥ .

المـــراد رؤية العـــين " ؛ قـــال الفـــارسى : " ويدل على ذلك قـــوله : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾[١] ، وصف البصر بالحدة .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٢] مع قوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[٣] فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة ، وجوابه أن الطمأنينة إنما تكـــون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد ، والوجل يكون عنـــد خـــوف الزيـــغ والذهاب عن الهدى فتوجـــل القلوب لذلك ؛ وقد جمع بينهما فى قوله : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٤] ، فإن هؤلاء وقد سكنت نفوســـهم إلـــى معتقداتهم ووثقوا به فانتفى عنهم الشك .

وكقوله : ﴿ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[٥] ، وفـــى موضـــع : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[٦] وأجيب باعتبار حال المؤمن والكافر ، بـــدليل قولـــه : ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾[٧] .

---

(١) سورة ق – الآية ٢٢ .
(٢) سورة الرعد – الآية ٢٨ .
(٣) سورة الأنفال – الآية ٢ .
(٤) سورة الزمر – الآية ٢٣ .
(٥) سورة المعارج – الآية ٤ .
(٦) سورة السجدة – الآية ٥ .
(٧) سورة الفرقان – الآية ٢٦ .

وكقوله : ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[١] ، وفى آية أخرى : ﴿ بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾[٢] ، قيل إن الألــف أردفهــم بثلاثة آلاف ، ، وكان الأكثر مددًا للأقل ، وكان الألف مردفين بفتحها .

وكقوله تعــالى : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[٣] ، وفى آية أخرى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[٤] ولا تنافى بينهما ، فالأول دال على أن الأرض وما فيها خلقــت قبــل السماء ، وذلك صحيح ، ثم دحيت الأرض بعد خلق الســماء ، وبــذلك تتفق معانى الآيات فى سورة القمر والمؤمن والنازعات[٥] .

وكقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾[٦] ، وقوله : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا

---

(١) سورة الأنفال – الآية ٩ .
(٢) سورة آل عمران – الآية ١٢٤ .
(٣) سورة البقرة – الآية ٢٩ .
(٤) سورة النازعات – الآية ٣٠ .
(٥) هكذا فى الكتاب ، ولعل الصواب أن السور هى " البقرة وفــصلت والنازعــات " ، فالآية الأولى هى رقم ٢٩ البقرة ، وتكملتهــا ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ؛ والثانية برقم ٣٠ من سورة النازعات وليس فى سورة المــؤمن – وهــى غافر – ما يشير إلى قبلية الأرض أو السماء ، ولكن سورة فصلت الآيــات ٩ – ١٢ هى التى تحدثت عن ذلك حين ورد فيها : ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ .
(٦) سورة قٓ – الآية ٣٨ .

رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[1] ، وذلك يبلغ ثمانية أيام .

والجواب : إن المراد بقوله : ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ مع اليومين المتقدمين ، ولم يرد ذكر الأربعة غير ما تقدم ذكره ؛ وهذا كما يقول الفصيح : " سرت من البصرة إلى بغداد فى عشرة أيام ، وسرت إلى الكوفة فى ثلاثة عشر يومًا " ، ولا يريد سوى العشرة ، بل يريد مع العشرة ثلاثة ؛ ثم قال تعالى : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ ، وأراد سوى الأربعة ، وذلك لا مخالفة فيه ، لأن المجموع يكون ستة .

---

(١) سورة فصلت – الآية ٩ – ١٢ .

النص الثالث

من كتاب " الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججهـا " لمكى بن أبى طالب القيسى ، المتوفى سنة ٤٣٧هـ .

سورة " التساؤل "

١ – قوله : ﴿ لَّبِثِينَ ﴾[١] ، قرأ حمزة بغير ألف على وزن (فعلـين) جعله من باب (فَرق ، وحذِر) ، فهو فرِق وحذِر ، جعلوه كالخلقة والطبيعة فيهم ؛ وقرأ الباقون بألف على وزن (فاعلين) جعلـوه من باب (شرب ولقم) من قولهم فى المصدر : " اللبث " فهو أمر مقدر وقوعه ، فاسم الفاعل فاعل .

٢ – قوله : ﴿ كِذَّابًا ﴾[٢] ، قرأه الكسـائى بالتخفيف ، جعله مصـدر (كذب) كـ الكتاب مصدر (كتب) ؛ وقرأ البـاقون بالتـشديد ، أتوا به على قياس مصدر (كذب) المـشدد ، لأن الأصـل فـى مصدر ما زاد على ثلاثة أحرف أن يأتى بلفظ الفعل منونًا مكسور الأول بزيادة ألف رابعة ، فتقول : " كذب كذابًا ، وأكرم إكرامًـا ، ودحرج دحراجًا " ، فحروف المصدر هى حروف الفعل الماضـى

---

(١) سورة النبأ – الآية ٢٣ .
(٢) سورة النبأ – الآية ٢٨ .

لا زيادة فيها سوى الألف الرابعة ؛ فأما قولهم : " التكذيب " ، فسيبويه يقول : " التاء عوض من زوال لفظ التضعيف من المصدر ، والياء التى قبل الآخر عوض عن الألف الرابعة فى (كذابًا) " .

٣ – قوله : ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾(١) ، قرأ الكوفيون وابن عامر بخفض ﴿ رَّبِّ ﴾ ، ورفعه الباقون ؛ وقرأ عاصم وابن عامر بخفض ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ، ورفعه الباقون .

وحجة من رفع الاسمين أنه قطع الكلام مما قبله ، ورفع ﴿ رَّبِّ ﴾ على الابتداء ، و﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ : الخبر ؛ ثم استأنف ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ﴾ .

وحجة من خفض الاسمين ، أنه أتبع الاسمين المخفوض قبلهما وهو قوله : ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾(٢) على البدل .

وحجة من خفض ﴿ رَّبِّ ﴾ ورفع ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ، أنه أتبع ﴿ رَّبِّ ﴾ قوله ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ على البدل ، ثم استأنف ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ فرفعه على الابتداء ، وجعل ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ﴾ الخبر .

---

(١) سورة النبأ – الآية ٣٧ .
(٢) سورة النبأ – الآية ٣٦ .

سورة " النازعات "

١ – قوله : ﴿ نَّخِرَةً ﴾[١] ، قرأه أبو بكر وحمزة والكسائى بـ ألف على وزن (فاعلة) ، وقرأ الباقون بغير ألف على وزن (فَعِلة) ؛ وروى عن الكسائى أنه خير فيه ، وهما لغتان بمعنى (بالية) كأن الريح تنخر فيها أو يسمع لها صوت ، ويجوز أن تكون ﴿ نَّخِرَةً ﴾ بمنزلة أنها صارت خُلُقًا فيها تنخر الريح فيها أبدًا ، فهو من باب (فرِق وحذِر)[٢] ؛ واسم الفاعل على (فعل) ؛ وتكون (ناخرة) على معنى : صارت الريح تنخر فيها بعد أن لم تكن كذلك ؛ وقد قيل إن الناخرة هى البالية ؛ والنخرة المتآكلة ، وقيل : النخرة البالية ، والناخرة العظام المجوفة التى تدخل الريح فيها فتنخره ، وأكثر الناس على أنهما سواء بمعنى : البالية التى قد خوت فدخلت الريح فيها ، فيسمع لها فيها نخير ، وهو صوت يحدث فيها من جريان الريح فيها .

٢ – قوله : ﴿ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾[٣] ، قرأه الحرميان بالتشديد للزاى على أن أصله (تتزكى) ثم أدغمت التاء فى الزاى ؛ وذلك حسن قوى ، لأنك تنقل التاء بالإدغام إلى لفظ الزاى ، والزاى أقوى من

---

(١) سورة النازعات – الآية ١١ .
(٢) أى : صفة مشبهة .
(٣) سورة النازعات – الآية ١٨ .

التاء بكثير ، فأنت بالإدغام تنقل الأضعف إلـى الأقـوى ؛ وقـرأ الباقون بتخفيف الزاى على حذف التاء الثانيـة لاجتمـاع تـاءين بحركة واحدة استخفافًا ، وهو مثل : تظاهرون وتساءلون وشبهه ؛ ومعنى ﴿ تَزَكَّىٰ ﴾ تنهى نفسك بالتطـهر من الشـرك بالله ، وقد أجمعوا على التشديد فى قولـه : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾[١] ؛ ولا يجوز تخفيف الزاى فى هذا ، إذ لم يجتمع فيه تاءان ، ومثلـه الاختلاف والحجة فى قوله : ﴿ تَصَدَّىٰ ﴾[٢] .

سورة " عبس "

١ – قوله : ﴿ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾[٣] ، قرأه عاصم بالنصب علـى الجواب بالفاء لـ (لعل) ؛ والنصب على إضـمار (أن) فهـو تعليله ، وحجته كالذى ذكرناه من الحجة فى البقرة والحديد[٤] فـى نصب ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ﴾ من رد الثانى على مصدر الأول حـين امتنع العطف على اللفظ فلم يكن بد من إضمار (أن) ليكون مـع

---

(١) سورة عبس – الآية ٧ .
(٢) سورة عبس – الآية ٦ .
(٣) سورة عبس – الآية ٤ .
(٤) يعنى قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ آية ٢٤٥ ؛ وقوله فى سـورة الحديـد : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ آية ١١ .

الفعل مصدرًا ، فتعطف مصدرًا على مصدر الأول ، لأن صدر الكلام غير واجب ، كأن تقديره : " وما يدريك لعله يكون منه تذكر فانتفاع بالتذكر " ، فلما أضمرت (أن) نصبت الفعل ؛ وقرأ الباقون بالرفع على العطف على ﴿ يَزَّكَّىٰ ﴾ و﴿ يَذَّكَّرُ ﴾ ، والتقدير : فلعله تنفعه الذكرى .

٢ – قوله : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾[1] ، قرأه الكوفيون بفتح الهمزة على بدل الاشتمال من الطعام ، لأن انصباب الماء وانشقاق الأرض سبب لحدوث الطعام ؛ ومعنى ﴿ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾[2] : إلى تكوّن طعامه ، أو إلى حدوث طعامه ، فهو موضع الاعتبار ، وليس النظر إلى الطعام اعتبارًا ، إنما الاعتبار فى النظر إلى الأشياء التى يتكون منها الطعام وهى صب الماء ، وانشقاق الأرض ، والإنبات ، ثم حدوثه وانتقاله من حال إلى حال ، ولا يكمل إلا بذلك ، فهذا مما اشتمل فيه الثانى على الأول فى البدل ، وهو كثير فى الكلام ، فأتى فى موضع خفض ؛ وأجاز بعضهم أن يكون ﴿ أَنَّا ﴾ فى موضع رفع على معنى : هو أنا صببنا أى : صبنا الماء ، والأول أحسن وأقوى .

---

(١) سورة عبس – الآية ٢٥ .
(٢) سورة عبس – الآية ٢٤ .

تعليق على ما سبق

وهكذا يتبين لكل ذى عينين أن جهود النحاة كانت سـراجًا كاشـفًا لحقائق التنزيل ومعانيه وأسراره ، بـل إن جهـودهم سـبقت مرحلـة المفسرين وصاحبتها ، حتى وجدنا من أشهر المفسرين من كان ضليعًا فى علوم اللغة ، بل إمامًا مبتكرًا فى قواعـدها ، وتنوعـت طرائـق تفسـيرهم ، فالأخفش الأوسط يكتب " معانى القـرآن " ويربط فيها بين الإعراب والمعنى المراد ؛ وكذلك فعل الفراء ؛ على حين يكتب النحاس " إعراب القرآن " ويتعرض فيه كذلك للمعنى والإعراب والقـراءات ؛ والزجاج ؛ وابن الأنبارى ؛ وابن خالويه ؛ والعكبرى ؛ ومكى بن أبـى طالب ، لكل منهم كتاب فى إعراب القرآن أو مشكله أو أجزاء منـه ؛ وكلهم من النحاة ، على حين نرى الزمخشرى وهو واضع " المفصل " فى النحو ، يضع تفسيره المشهور " الكـشاف " فيعنـى فيـه بـالنحو والبلاغة واللغة ، وكلها مجالات نبغ فيها الزمخشرى ؛ كما نـرى أبـا حيان الأندلسى يضع تفسير " البحر المحيط " وهو من أمتـع التفاسـير وأدقها وأغناها بمستنبط المعانى المترتبة على الوجوه الإعرابية ، حيث هو الضليع فى ذلك وهو الذى ألّف فى النحو أوسع الكتب وأشملها وهو " **التذييل والتكميل شرح التسهيل** " .

وإذن فلا معنى لما يشيعه بعض السطحيين أن النحاة قـد تركـوا كتاب الله واستشهدوا بأبيات من الشعر مجهول قائلها ، ساقطة معانيها .. فهم لم يلجأوا فى بعض الأحيان إلى الشعر إلا ليثبتـوا مـا شـذ مـن

اللهجات ، أو ليبيّنوا مدى صدق قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[1] .

وإن القرآن الكريم لمجال خصب وميدان فسيح لطـلاب الأزهـر يطبقون عليه قواعدهم فى النحـو والبلاغـة واللغـة والأدب ، كمـا يستنبطون من فهمهم لهذه القواعد أحكام الله وتشريعاته .

ولما كانت السنة النبوية فى أوج المراتب العليـا مـن الفـصاحة والبلاغة العربية ، كان لابد لنا من التزود منها بثلاثة أمثلة كذلك .

---

(١) سورة الشعراء – الآية ١٩٣ – ١٩٥ .

الفصل الثاني

النصوص النبوية

النص الرابع

روى الإمام مسلم : عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ : « **لاَ وَاللَّهِ مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِلاَّ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا** » ؛ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيَأْتِى الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : « **كَيْفَ قُلْتَ ؟** » ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيَأْتِى الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **إِنَّ الْخَيْرَ لاَ يَأْتِى إِلاَّ بِخَيْرٍ أَوَ خَيْرٌ هُوَ إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضِرِ أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلأَتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ ثَلَطَتْ أَوْ بَالَتْ ثُمَّ اجْتَرَّتْ فَعَادَتْ فَأَكَلَتْ فَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِى يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ** »[١] .

معانى المفردات

الخير : ما يعود على المرء بالنفع ، ولنظرة العرب المادية أطلقوه على المال حتى صار اللفظان مترادفين بمعنى واحد ، وقد ورد على هذا

(١) صحيح مسلم – كتاب الزكاة – باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا – حديث رقم ٢٤٦٨ .

الإطلاق قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾[١] بمعنى حب المال بدليل قوله تعالى : ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾[٢] ؛ وجاء قوله أيضًا عن الخيل فى قصة " سليمان " فقال : ﴿ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي ﴾[٣] بدليل ما قبله وهو قوله : ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴾[٤] ؛ وهذا المعنى هو الذى يريده السائل ، بدليل أن سؤاله هذا أتى بعد إبداء خشية رسول الله ﷺ على المسلمين من زهرة الدنيا ، فتعجب السائل من هذه الخشية لأن زهرة الدنيا فى ذهنه تعنى الخير ، فالخير فى ذهن السائل هو المال ، وفى المفهوم الحقيقى لدى رسول الله ﷺ أنه ما يعود على المرء بالنفع دنيا وأخرى ، كتنفيذ أوامر الله ؛ أما المال فهو وسيلة يمكن استخدامه فى مجالات الخير كما فعل أبو بكر وعثمان وأغنياء الصحابة ، ويمكن أن يستغل فى مجالات تغضب الله فيكون وبالاً وشرًا كما كان فى قصة قارون وصاحب الجنتين وغيرهما .

ساعة : المراد بها فترة من الزمن تختلف حسب المقامات والمقتضيات ، وليس المراد بها الساعة الاصطلاحية التى هى ستون دقيقة .

---

(١) سورة العاديات – الآية ٨ .
(٢) سورة الفجر – الآية ٢٠ .
(٣) سورة ص – الآية ٣٢ .
(٤) سورة ص – الآية ٣١ .

الحبط : مصدر بوزن الفرح ، وفعله : حبط بوزن فرح ؛ وهو انتفاخ البطن من التخمة بأكل ما يزيد على الطاقة ، وأصله اللغوى يستعمل فى الدابة التى تغتر بما ينضج فى فصل الربيع من البقول ، فيستهويها الإدثار ، فتمتلئ معدتها وتنتفخ ، ثم لا تصرف ما فى جوفها فيحدث لها إمساك فهلاك ، وقد استعمل القرآن الكريم هذا اللفظ فى التعبير عن بطلان العمل وفساده ممن يقومون به لغير الله ، واستعمله الحديث هنا فيمن يغريه فيستكثر منه بغير وجه حق ؛ والجامع بين كل هذه الصفات هو ظن المنفعة فى غير موضعها .

يلم : أى يقارب ، من ألم الرباعى ، بمعنى : قرب ؛ يقال : ألم الغلام ، بمعنى : قارب البلوغ ؛ كما يقال : ألمت النخلة ، أى : قاربت الإرطاب ؛ ويقال : ما فعل ذلك وما ألم ، أى : لم يفعله ولم يقترب منه .

الخضر : صفة مشبهة على وزن فرح ولبق ، من الخضرة ؛ وتطلق على النبات الغض الطرى الأخضر الذى لم يصفر ، وهو مفيد للجسم الحى ؛ والماشية ترتع منه شيئًا فشيئًا ولا تستكثر منه فلا تحبط بطونها منه ، وهو يساعد على تصريف ما فى البطن .

الخاصرة : ما بين رأس الورك وأسفل الأضلاع ؛ والخصر من الإنسان والحيوان : وسطه ، وهو المستدق فوق الوركين .

ثلطت : سلحت سلحًا غير متماسك ، والثلط : الغائط غير المتماسك .

اجترت : أخرجت ما فى بطنها مما لم يهضم وأخذت تمضغه .

الراوى للحديث

هو أبو سعيد : سعد بن مالك بن سنان الخزرجى الأنصارى الخدرى ، نسبة إلى قبيلة " خدرة " وهى بطن من الأنصار ؛ وكان من علماء الصحابة وممن شهد بيعة الرضوان ؛ ولد قبل الهجرة باثنى عشر عامًا ؛ وتوفى فى أوائل سنة أربع وسبعين من الهجرة عن ستة وثمانين عامًا .

من وجوه البلاغة فى النص

١ – « **لاَ وَاللَّهِ مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِلاَّ ....** » .

أكد الرسول ﷺ هذه المعلومة بالقسم ، وبتكرير النفى بـ (لا) و(ما) ، وبصيغة القصر بالنفى والاستثناء ؛ وذلك لأن حالة المخاطبين تستدعى كل هذه التأكيدات ، حيث استقر فى أعماقهم أن المال كله خير ، فنزلوا منزلة المنكرين الذين يحتاجون إلى كثرة المؤكدات لإزالة إنكارهم .

٢ – « ...... **مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا** » .

فى لفظ الزهرة استعارة أصلية تصريحية ، والأصل فيها : تشبيه الأموال بالزهرة بجامع المظهر الجذاب مع سرعة الذبول ، ثم حذف المشبه ، واستعير لفظ الزهرة لمختلف أنواع المال على سبيل الاستعارة الأصلية .

فى إضافة الزهرة إلى الدنيا مجاز بالحذف ، إذ الأصل " زهرة الحياة الدنيا " ، فحذف الموصوف وهو الحياة ، وأقيمت

الصفة وهى الدنيا (تأنيث الأدنى ، من صيغ التفضيل) : مقام الموصوف قصدًا للإيجاز .

٣ – " أَيَأْتِى الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ؟ " .

الأصل فى الاستفهام طلب الفهم للإجابة عن السؤال ، لكن السائل هنا ضمّن سؤاله التعجب والاستغراب مما سمعه ، بدليل أن الرسول ﷺ بعد أن صمت وطلب إعادة السؤال ، لم يقل له : ماذا قلت ؟ ولكنه قال : « كَيْفَ قُلْتَ ؟ » ، والسؤال بـ (كيف) يكون عن الحال ، وإذن فسؤال الصحابى كان يبدو عليه التعجب مما سمعه من الرسول ﷺ وهو يعبر عن خشيته من المال .. أى أنه استعمل همزة الاستفهام بمعنى النفى على سبيل الاستعارة التبعية ، حيث جرت فى الحروف ؛ والغرض منه تخفيف صورة النفى والإنكار على السامع بمجيئه فى صورة السؤال .

٤ – « إِنَّ الْخَيْرَ لاَ يَأْتِى إِلاَّ بِخَيْرٍ » .

فى هذه العبارة تأكيد بثلاثة مؤكدات هى : اسمية الجملة ، و(إن) ، والقصر بالنفى والاستثناء ، حيث هى رد على الاستفهام الإنكارى السابق ، وواضح أن لفظ الخير هنا ليس لفظ الخير فى السؤال ، فهو هنا بمعنى الخير المحض ، وفى السؤال بمعنى المال .

٥ – « أَوَ خَيْرٌ هُوَ » .

هذا الاستفهام أيضًا إنكارى ، الغرض منه تنبيه السائل إلى المعنى الحقيقى للخير ؛ وما قيل فى سابقه يقال فيه .

٦ – « **إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ** » .

في هذه الجملة استعارة تمثيلية ، شبه فيها المال الذى يظنه السائل خيرًا محضًا مع أنه قد يؤدى إلى الهلاك بما ينبته الربيع من البقوليات المغرية للدواب بالاستكثار منها بلا حساب فيصيبها الحبط فتهلك أو تقارب على الهلاك .

٧ – « **إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضِرِ أَكَلَتْ** ...... » .

فى ذلك استعارة تمثيلية أيضًا ، حيث شبه من أخذ المال بحقه وبقدر حاجته وبدون شراهة فبارك الله له فيه وأخرج عنه الأذى ، بآكلة الخضر التى تأكل بحساب وتمتنع عن الأكل عند شعورها بالشبع وتجتر ما فى بطنها من طعام لم يهضم ، ولا تعود إلى الأكل إلا إذا اطمأنت أن بطنها قد صار خاليًا .

والمثالان يوضحان الحقيقة التى غابت عن السائل بأن المال ليس خيرًا محضًا ، ولكنه قد يؤدى إلى الخير كما فى آكلة الخضر وقد يؤدى إلى الهلاك كمن يصيبها الإحباط .

٨ – « **فَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِحَقِّهِ** .... » .

فى ذلك لف ونشر غير مرتب ، وهو من صنوف علم البديع ، حيث قدم آخذ المال بحقه على آخذه من غير حقه ، مع أن المثلين السابقين قد رتبا على أن الأول من أخذ المال بغير حقه ؛ وسر ذلك أن فى الترتيب الأول البدء بالتحذير من سوء العاقبة للمسرفين الجشعين ، وفى الترتيب الثانى بيان فضل القَنوع الذى يأخذ المال

بحقه ، فكان لكل ترتيب مزية مطابقة لمقتضى الحال .

٩ - « **وَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِى يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ** » .

فى ذلك تشبيه تمثيلى ، حيث شبه آخذ المال من طرق غير مشروعة فلا يستفيد منها ومع ذلك يدعوه جشعه إلى المزيد حتى يهلكه ، بمن يأكل من طعام لا يفيده ولا يحس بشبع لأنه مصاب بالبطنة فيستمر فى تناول الطعام حتى يهلك .

الإعـــراب

عن أبى سعيد : جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بفعل محذوف تقديره : روى .

رضى الله عنه : جملة دعائية معترضة بين الفعل ونائب الفاعل .

قال : فعل ماض فاعله ضمير مستتر جوازًا ، والفعل والفاعل يتصيد منهما مصدر ينوب عن فاعل الفعل المحذوف : روى ؛ والتقدير : روى عن أبى سعيد قولُه ...

قال رسول الله : جملة الفعل والفاعل مقول القول فى محل نصب .

فخطب الناس : جملة الفعل والفاعل والمفعول معطوفة بالفاء الترتيبية .

لا : حرف جواب ورد لوهم السامعين وشوقهم إلى المال ، ويصح أن تكون نافية للفعل القادم (أخشى) و(ما) النافية التى قبل الفعل مؤكدة لـ (لا) .

والله : الواو للقسم ، ولفظ الجلالة مجرور به ، والجار والمجرور متعلق بفعل قسم محذوف تقديره : أقسم والله .

ما أخشى : جواب القسم ؛ و(ما) : نافية ، و(أخشى) : فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف للتعذر ، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره : أنا .

عليكم : جار ومجرور متعلق بالفعل (أخشى) .

أيها الناس : (أى) : منادى بحرف نداء محذوف مبنى على الضم فى محل نصب ، و(ها) : للتنبيه ، و(الناس) : نعت لـ (أى) على اللفظ .

إلا ما يخرج الله لكم : (إلا) : أداة استثناء ملغاة ، و(ما) : اسم موصول بمعنى : الذى ، مفعول به فى محل نصب للفعل (أخشى) ، (يخرج الله لكم) : جملة من فعل مضارع وفاعله ، لا محل لها من الإعراب ، صلة الموصول .

من زهرة الدنيا : (من) : بيانية يوضح مدخولها معنى (ما) الموصولة السابقة .

كيف قلت : (كيف) : اسم استفهام مبنى فى محل نصب حال مقدم من فاعل (قلت) .

أو خير هو : الهمزة للاستفهام ولها الصدارة ، ولذا وقع حرف العطف بعدها وهو الواو ، (خير) : خبر مقدم ، و(هو) : مبتدأ مؤخر .

إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطًا : (إن) : حرف ناسخ ، (كل) : اسمها منصوب ، (ما) : اسم موصول مضاف إليه ، (ينبت الربيع) : جملة صلة الموصول والرابط محذوف تقديره : ينبته الربيع ، (يقتل) : الجملة خبر (إن) ، (حبطًا) : مفعول لأجله .

إلا آكلة الخضر : (إلا) : أداة استثناء ، و(آكلة) : مستثنى واجب النصب لأن الكلام تام موجب ، و(الخضر) : مضاف إليه مجرور .

فمن يأخذ مالاً بحقه يبارك له : الفاء الفصيحة أفصحت عن شرط مقدر كأنه قيل : إذا كان الأمر كذلك فمن يأخذ ، (من) : اسم شرط جازم مبتدأ ، (يأخذ) : فعل الشرط مجزوم بـ (من) ، والفاعل ضمير مستتر ، (مالاً) : مفعول به ، (بحقه) : شبه جملة في محل نصب حال من فاعل (يأخذ) ، (يبارك له) : جواب الشرط مجزوم .

فمثله كمثل الذى يأكل ولا يشبع : الفاء واقعة فى جواب الشرط ، لأن الجواب جملة اسمية ، و(مثله) : مبتدأ ومضاف إليه ، (كمثل) : فى الكاف ثلاثة إعرابات : الأول : هى زائدة لإصلاح اللفظ وتوكيد التشبيه ، و(مثل) هو الخبر ؛ والثانى : هى اسم بمعنى : مثل وهى الخبر ، و(مثل) : مضاف إليه ؛ والثالث : هى حرف تشبيه وجر ، وشبه الجملة هو الخبر ، (الذى) : مضاف إليه ، وجملة (يأكل) : صلة الموصول .

فقه الحديث وشرحه

كان ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة ، ويتحين الفرص المناسبة ليقع كلامه موقع التأثير الفورى ، وكان إذا رأى انحرافًا فى التفكير أو فى السلوك ، جمع أصحابه وصحح لهم ما رآه ، حتى يظلوا على المحجة البيضاء .

وهذا الحديث نموذج لهذا المنهج النبوى الحكيم فى بيان حقيقة التصور الإسلامى للمال ، حين رأى العرف السائد لدى العرب قبل الإسلام وفى بداية العهد الإسلامى يعد المال خيرًا محضًا ، وهدفًا يسعى إليه ، إذ به يتحقق ما يطمحون إليه من متع الدنيا وزخارفها ، وتلك هى النظرة المادية التى تسود عادة فى المجتمعات التى لا تؤمن بالآخرة ، فتنحصر هممهم فى الفترة التى يعيشها المرء فى الدنيا ، ويقولون : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[١] ، ولمثل هؤلاء تأتى الوصايا الإسلامية : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ﴾[٢] ؛ ومن أجل هذا يتوجه الرسول ﷺ بهذا الحديث الذى لا يخشى فيه على أمته الفقر ، ولكن يخشى أن تفتح عليهم خيرات الدنيا وزخارفها ،

---

(١) سورة المؤمنون – الآية ٣٧ .
(٢) سورة الحديد – الآية ٢٠ .

فتشغلهم عن الخير المحض ، وتفتنهم عن رسالتهم ومبادئهم وآخرتهم ، فيتنافسوا فيها كما تنافس فيها من كان قبلهم ، فيجمعوها تفاخرًا وتكاثرًا وينفقوها ترفًا وإسرافًا ، ويكسبوها من طرق غير مشروعة ، ويمنعوها عن ذوى الحقوق منها ؛ على أنه لا يشجع الرهبانية والعزوف عن طيبات الحياة ، فهو الذى يخاطب من تبدو عليه معالم الإعراض المطلق عن متع الحياة وزينتها بقول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾(١) .

وبهذا يصل الإسلام إلى الوسطية التى هى منهجه دائمًا فى التشريع فلا غلو ولا إغراق فى لذائذ الحياة ، ولا إعراض ولا انصراف عن طيباتها ؛ كل ما فى الأمر أنه حين يوازن بين متطلبات المادة والروح ، يلفت النظر إلى أن فترة الحياة الدنيا أقل بكثير من فترة الآخرة ، وإذن فالآخرة تحتاج إلى زاد ورصيد أكثر ، وقد تفضل عليه بأن أتاح له وهو يتمتع بطيبات الدنيا أن يحول هذا العمل الدنيوى إلى رصيد أخروى بالنية الصالحة ، وتسخير ما يمتلكه فى الحياة لاكتساب مزيد من الثواب على نمط النصيحة القرآنية : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة الأعراف – الآية ٣٢ .

إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[١] .

وفى هذا الحديث يشير المصطفى ﷺ إلى أن الخير المحض هو الذى لا يتأتى من ورائه شر أبدًا ، وخير مثال لذلك ما شرعه الله من أحكام وأخلاق ، إذ لا يتأتى من وراء الصدق غير النجاة ، ولا من وراء السخاء والكرم إلا الحب والثراء ، ولا من التزام حدود الله غير رعاية الله ويسره ، ولا من اجتناب الحرام إلا فتح آفاق جديدة من الحلال ، هذا هو الخير المحض ؛ أما الشر المحض فأوضح مثال له ما حرمه الله ونهى عنه كأكل الربا الذى يبدو فى ظاهره تكثيرًا للمال ، ومنع الزكاة التى تبدو فى ظاهرها نقصًا فى المال .. فإذا به كما يقول الله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[٢] ، وهكذا الرشوة واللصوصية والاستغلال .

إن النفس قد جبلت على حب المال والحرص عليه ، وما لم يكن لها من الدين وازع ، ومن العقل وثاق ، فإنها تهيم فى الأرض كما تفعل البهائم مع ما ينضج فى فصل الربيع من البقوليات ، إذ يستهويها الإكثار منه ولا يحجزها عنه عقل أو دين ، فتملأ أمعاءها ، فتنتفخ ، ويظن من يراها أنها قد سمنت ، فإذا به يصيبها بالإمساك ، فيأتى هلاكها من حيث أرادت النفع ؛ وهذا مثل لمن يأخذ المال بغير حقه ، ولا يقنع بما يأتيه من الحلال الطيب ، فيطمع فيما هو مخصص لغيره ، أما إذا هذبت النفس

---

(١) سورة القصص – الآية ٧٧ .
(٢) سورة البقرة – الآية ٢٧٦ .

بالدين والعقل ، فإنها تأخذ من رزق الله الحلال ما يصلحها وما تصلح به غيرها دون طمع واستشراف نفس ، وهى حين تأخذ لا تأخذ منه إلا ما يكفيها ، وتترك ما يزيد عن حاجتها لغيرها ، كتلك التى تأكل الخضر ، تأخذ منه حتى تشعر بالشبع ، وذلك حين تمتلئ خاصرتاها ، فتترك لغيرها ، وتستقبل الشمس متعرضة لمنافعها سعيدة بما رزقها الله فييسر الله لها إخراج الأذى والفضلات – وتلك نعمة كبرى يغفل عنها كثير من الناس – وحين تشعر بالجوع لا تتجه مباشرة للأكل من جديد ولكنها تبحث فى بطنها عما عساه لم يهضم ، فتخرجه أولاً لتمضغه وتهضمه ، ولا تذهب إلى الخضر إلا إذا استنفدت ما عندها من طعام ، وفى ذلك إشارة إلى واجب المسلم فى **نظام الطعام** ، فلا يدخل طعامًا على طعام ، وفى **نظام السلوك** ، فلا يأخذ من المال العام إلا إذا احتاج فلا يحتكر ، ولا يدخر عنده ما يمكن أن ينتفع به غيره ، ذلك أن المؤمن يعتمد على الله رازقًا ومدبرًا لشئون خلقه ، وليس للإنسان أن يتوهم أنه هو الذى سيطعم نفسه ، فهو وحده الذى يُطعِم ولا يُطعَم ؛ وما أقرب هذا المثل بما ورد فى الأثر : " نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع " .. وهذا المسلك الإسلامى هو الذى تنادى به المجامع العلمية المهتمة بالصحة العامة .

ما يؤخذ من الحديث

١ – التحذير من الطمع فى مال الغير وفى سائر متع الحياة ، لما فى

ذلك من الفتن المؤدية إلى هلاك الفـرد ، وتقطيع العلاقـات فـى الأمة ، وفسادها .

١ – بيان معنى الخير المحض ، والشر المحض ، والآلات والوسـائل التى يمكن استعمالها فى الخير والشر ، وتصحيح نظـرة العـرب والماديين عمومًا إلى المال .

٢ – سعة صدر رسول الله ﷺ وحكمته وطرائق تربيته وتعليمـه فـى السماح للسائل يطرح ما يشاء وهو يخطب ، وصمته فترة ليستجمع من سامعيه كل انتباه ، ومطابقة كلامه لمقتـضى الحـال ، ممـا يضىء الطريق أمام الدعاة إلى الله .

٤ – ضرب الأمثال المحسة من واقع البيئـة لتقريـب الحقـائق مـن المستمعين .

٥ – التنبيه على نعمة إخراج الأذى والفضلات .

النص الخامس

روى البخارى : عَنْ أَبِى مُوسَى الأشْعَرِى ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ :

« مَثَلُ مَا بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى ، إِنَّمَا هِىَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً ، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِى دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ »[١] .

معانى المفردات

الهدى : الدلالة الموصلة إلى المقصد .

العلم : القواعد والمعلومات التى تؤدى إلى ملكة التمييز بين البدائل ومعرفة السنن والنواميس .

الغيث : المطر المغيث ، وهو دون السيل وفوق الطلّ .

نقية : من النقاء ، أى : سليمة من العيوب ، خصبة طيبة ؛ وفى رواية مسلم : طائفة طيبة .

الكلأ : النبات مطلقًا ، يابسًا ورطبًا .

العشب : الرطب من النبات ، والعطف من ذكر الخاص بعد العام .

---

(١) صحيح البخارى – كتاب العلم – باب فضل من علم وعلم – حديث رقم ٧٩ .

أجادب : جمع (جدب) بفتح الدال على غير قياس كـ محاسن جمع (حسن) ، والأجادب هى الأراضى الصلبة التى لا ينضب منها الماء[١] .

سقى وأسقى : بمعنى واحد ، لغتان[٢] ؛ وقيل : سقاه : ناوله ليشرب ، وأسقاه : جعل له ومهد له السقيا ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[٣] وذلك فى الجنة ، وقوله : ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾[٤] وذلك فى الدنيا .

قيعان : جمع (قاع) وهو أرض مستوية ملساء .

فقه : صار فقيهًا ، أى : متصفًا بالفقه ، أى أنه متعمق فى الفقه حتى صار الفقه صفة دائمة ثابتة كالسجية ، ولذا حول الفعل من باب (فرح) إلى باب (حسن) ، إذ أصل الفعل : فقه – بكسر القاف – ، والمضارع : يفقه – بفتحها – ، والمصدر : فقهًا – بفتح القاف – ، وقيل بإسكانها .

من لم يرفع بذلك رأسًا : تكبر فى صلف وغرور ، لأن المهتم بالشىء يرفع رأسه وينصت إليه ، والمراد بهؤلاء – كما سيجىء – من دخلوا فى الدين ولم يسمعوا العلم ، أو سمعوه ولم يعملوا به ولم يعوه .

---

(١) راجع فتح البارى – جـ١ ص١٧٦ .
(٢) راجع النووى على مسلم بهامش القسطلانى – جـ٩ ص١٣٩ .
(٣) سورة الإنسان – الآية ٢١ .
(٤) سورة المرسلات – الآية ٢٧ .

لم يقبل هدى الله : رفضه ، ولم يدخل فى الدين أصلاً ، بل بلغه فكفر به .

الراوى للحديث

أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم ، من بنى الأشعر من قحطان ، صحابى من الشجعان الولاة الفاتحين ، ولد فى زبيد باليمن قبل الهجرة بواحد وعشرين سنة ، وقدم مكة عند ظهور الإسلام ، فأسلم وهاجر إلى الحبشة ، وكان أحسن الصحابة صوتًا فى تلاوة القرآن الكريم ، وكان قصيرًا خفيف الجسم ، واستعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن ؛ واشترك فى التحكيم بين علىّ ومعاوية ، وبعده ارتد إلى الكوفة ، وتوفى سنة أربع وأربعين من الهجرة عن خمسة وستين عامًا(١) .

من وجوه البلاغة

١ – تشبيه الهدى والعلم الذى أرسل به المصطفى ﷺ فى نقائه وعموم نفعه ووصوله إلى جميع المكلفين على سواء ، فينتفع به فريق ويضل به فريق .. بالغيث الكثير النقى الذى ينزل طاهرًا مطهرًا على كل طبقات الأرض فتستفيد منه التربة الخصبة ، وتُضيّعه التربة السبخة ؛ وهو تشبيه تمثيلى تكوّن كل من المشبه والمشبه به من صورة تركيبية ذات أجزاء ؛ ووجه الشبه فيه متعدد أيضًا ،

---

(١) راجع الأعلام – جـ٤ ص١١٤ .

فكلاهما نازل من السماء ، وكلاهما نقى طاهر ، وكلاهما نافع مفيد وكلاهما عام وشامل ، وهو من تشبيه المعنوى بالحسى .

٢ – تشبيه من ينتفع بالهدى والعلم وينفع بهما غيره بالأرض الطيبة النقية التى تقبل الماء فتنتفع به فتنبت ما ينفع الناس ؛ وهو تشبيه تمثيلى ، وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من قبول المحل لما يرد عليه من الخير مع ظهور أماراته وانتشارها ، وهو تشبيه محس بمحس ، وهو مرسل لذكر الأداة ، ومجمل لحذف الوجه .

٣ – تشبيه من يعى العلم والهدى ولا ينتفع بهما ولكنه ينفع بهما غيره بالأجادب التى تمسك الماء ولا تنتفع به ، وهو من التشبيه البليغ ، حيث حذفت الأداة ووجه الشبه ، ولم يذكر فيه المشبه للعلم به من ذكر الفريقين : الأول والثانى .

٤ – تشبيه من لم يع العلم ولم ينتفع به ولم ينفع غيره به بالقيعان التى لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، وهو تشبيه حسى بحسى ، وهو مرسل لذكر الأداة ، ومجمل لحذف وجه الشبه مع الإيماء له فى وصف المشبه والمشبه به .

٥ – قصر الموصوف على الصفة فى قوله : « **إنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ** » لإبراز التفاهة والسفه فيمن لا خير فيه لنفسه ولا لغيره .

٦ – تنكير « **أرْضاً** » للتنويع .

٧ – الكناية عن المتكبر المعرض عما جاء به الإسلام بمن لم يرفع به رأسه ، وفى الكناية تلميح إلى ثقل الرؤوس عن الخير بفعل

الشيطان ، وإشارة إلى أن الإصغاء إلى الوحى رفعة لمن يصغى .

٨ – حسن التقسيم ، وذلك من فنون البديع ، فمعظم أحوال الناس لا تخلو من هذه الأصناف .

٩ – لف ونشر غير مرتب ، وذلك من فنون البديع أيضًا ، حيث من فقه فى دين الله تعالى هو الثانى ، ومن تفقه فعلم وعلم هو الأول ؛ ومن لم يرفع بذلك رأسًا هو الثالث ؛ وذلك على الرأى الراجح – كما سيتضح ذلك بعد – .

الإعراب

عن أبى موسى : جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بفعل محذوف تقديره : روى .

من الهدى والعلم : (من) : بيانية ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الضمير فى (به) .

كمثل الغيث : فى الكاف الإعرابات الثلاثة السابقة فى النص السابق .

أصاب أرضًا : الجملة من الفعل والفاعل والمفعول فى محل نصب حال من (الغيث) .

فكان منها نقية : (كان) : فعل ناسخ ، (منها) : جار ومجرور متعلق بمحذوف فى محل نصب خبر مقدم لـ (كان) ، و(نقية) : اسم كان ؛ وجاء الفعل مذكرًا لأن اسمه مؤنث مجازى ومفصول من

الفعل ، فيجــوز فيه التذكير والتأنيث ، وقد أنث فى الجملة الثانيــــة : « **وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ** » وإعرابها مثل الأولى .

قبلت الماء : الجملة فى محل رفع صفة لــ (نقية) .

أمسكت الماء : الجملة فى محل رفع صفة لــ (أجادب) .

وأصاب منها طائفة أخرى : (منها) : جار ومجرور متعلق بمحذوف حال مقدمة من طائفة ، و(طائفة) : مفعول به ، و(أخرى) : صفة له .

إنما هى قيعان : الجملة فى محل نصب صفة لــ (طائفــة) ، أو حال منها ، لأن الطائفة مع أنها نكرة هنا قد وصفت ، فــإذا اعتــددنا بالوصف صلح أن تكون الجملة حالاً ، وإلا فهى صفة ثانية .

لا تمسك ماء : الجملة فى محل رفع صفة لــ (قيعان) .

فقه فى دين الله : جملة لا محل لها من الإعراب ، صلة الموصول والرابط هو الفاعل ، حيث هو ضمير يعود على اسم الموصول .

بعثنى الله به : جملة صلة الموصــول (ما) واســم الموصــول فاعل (نفع) .

لم يرفع بذلك رأسًا : جملة صلة الموصول (من) الواقع مضافًا إليه .

أرسلت به : جملة من فعل ونائب فاعل ، صلة الموصول (الذى) الواقع صفة لــ (هدى الله) .

فقه الحديث وشرحه

أثار هذا الحديث لدى شراحه جملة من المباحث النافعة :

المبحث الأول : تطبيقات المشبه على المشبه به :

ذلك أنه ذكر في المشبه به وهو الغيث والأرض ثلاث طوائف ، وذكر فى المشبه وهو من تلقى ما بعث الله تعالى به محمدًا ﷺ طائفتين فى قوله : « **فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِى دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ** » ؛ **فقال بعض العلماء** : " إن من فقه فى دين الله ونفعه هدى الله وعلم وعلم هو الأول ، ومثاله الأرض الطيبة ؛ ومن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله هو الثالث ، ومثاله القيعان ؛ فذكر الأعلى والأدنى وطوى الثانى لفهمه من أقسام المشبه به " .

وقال ابن حجر ناقلاً عن القرطبى وغيره : " ضرب النبى ﷺ لما جاء من الدين مثلاً بالغيث العام الذى يأتى الناس فى حال حاجتهم إليه ، وكذا حال الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيى البلد الميت ، فكذا علوم الدين تحيى القلب الميت ، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التى ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم فهو منزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت فى نفسها وأنبتت فنفعت غيرها ؛ ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الأرض التى يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ، وهو المشار إليه بقوله : « **نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ** »[1] ؛ ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله

---

(١) سنن الترمذى – كتاب العلم – باب ما جاء فى الحث على تبليغ السماع – حديث رقم ٢٨٦٩ .

لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التى لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها ، وإنما جمع فى المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما فى الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها " ؛ ثم قال ابن حجر : " والله أعلم " ؛ ثم ظهر لى أن فى كل مثل طائفتين ، فالأول قد أوضحناه ، والثانى : الأول منه من دخل فى الدين ولم يسمع العلم أو سمعه فلم يعمل به ولم يعلّمه ، ومثالها من الأرض السباخ ، وأشير إليهما بقوله : « **مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأساً** » ، أى : أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع ، والثانية منه : من لم يدخل فى الدين أصلاً بل بلغه فكفر به ، ومثالها من الأرض الصماء الملساء المستوية التى يمر عليها الماء فلا تنتفع به ، وأشير إليها بقوله : « **وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ** » .

وأرى أن الطوائف الثلاث مذكورة فى نهاية الحديث على أساس اللف والنشر غير المرتب ، فمن فقه فى دين الله يمثل الأجادب ؛ ومن نفعه الله به فعلم وعلم مقدر قبله كلمة (مثل) وهو الأرض الطيبة ؛ ومن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هو القيعان .

أما أن فى كل طائفة نوعين أو أكثر ، فذلك ما لا نرفضه ، بل كل طائفة تشمل أنواعًا كثيرة ، حيث تتفاضل الأفراد بحسب النية والأداء ، كل ما فى الأمر أن إطارًا محددًا يحكم كل طائفة .

المبحث الثانى : حكم من لم ينتفع بالعلم وعلمه غيره ، ومن انتفع به فى نفسه ولم يعلمه غيره :

نقل الإمام ابن حجر – وهو من فقهاء الشافعية – عن الطيبى : " أن الأول إن كان عاملاً بالفرائض مهملاً للنوافل فقد دخل فى الأجادب ، وإن ترك الفرائض أيضًا فهو فاسق لا يجوز الأخذ عنه ، ولعله يدخل فى عموم من لم يرفع بذلك رأسًا ؛ أما الثانى وهو من انتفع ولم ينفع ، فداخل فى الطائفة الطيبة ، لأن النفع حاصل فى الجملة وإن تفاوتت مراتبه ، وكذلك ما تنبته الأرض فمنه ما ينتفع الناس به ومنه ما يصير هشيمًا " .

هذا ومما يجب التنبه له أن الأعمال بالنيات وأن لكل امرئ ما نوى ، فمن حصل العلم ليمارى به السفهاء أو ليجارى به العلماء فلا ثواب له فى تعلمه ، ومن حصله ابتغاء مرضاة الله وسعيًا لفهم ما وجب عليه ، وقيامًا بتبليغ ما أمر الله به ، كان تحصيله له جهادًا فى سبيل الله ، وكان تبليغه قيامًا بواجب الأنبياء ، ومن الواضح أن أى خبر يبلغ المرء عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ حجة على من سمعه ، فإن كان هذا الخبر فى الفرائض وتركه حوسب وعوقب ، وإن كان فى النوافل وتكاسل عن أدائه فقد ضيع على نفسه خيرًا كثيرًا ، ومن هنا ندرك دقة الطيبى فى قوله : " وإن ترك النوافل فقد دخل فى الثانى " ، أى : نأخذ عنه العلم كما نشرب الماء من الأجادب ونترك حسابه لله على ما ترك ، أما إذا ترك الفرائض فهو غير مأمون على العلم لأنه فاسق قد يكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ .

المبحث الثالث : هل لهذا الحديث علاقة بالآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ

أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[١] ؟

لم أجد – أو يتح لى – من المراجع العلمية ربطًا بين الآية والحديث ، وكثيرًا ما حدث بينى وبين بعض الزملاء نقاش حول هذه العلاقة ، وكانوا يرفضونها بحجة أن الآية تتحدث عن ورثة الكتاب الذين اصطفاهم الله تعالى ، فلا يتأتى فى هؤلاء من لا ينتفع بالدين ؛ وبالرجوع إلى كتب التفسير وجدت فى القرطبى[٢] قولاً للضحاك – وهو من التابعين – يحل تلك المشكلة ، إذ قال : " فمنهم أى من ذريتهم ظالم لنفسه " ؛ وبحل تلك المشكلة على هذا الرأى أجد التطابق واضحًا بين الآية والحديث ؛ فالظالم لنفسه من وقع فى صغيرة – على رأى بعض المفسرين – أو هو الجاهل – على رأى البعض الآخر – ؛ قال سهل : " السابق : العالم ، والمقتصد : المتعلم ، والظالم : الجاهل " ، وقيل : الظالم لنفسه : التالى للقرآن الكريم ولا يعمل به ، والمقتصد : هو التالى العامل ، والسابق : القارئ العامل العالم ؛ وبناء على ما قاله علماء التفسير أنفسهم يكون المعنى على غرار قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم

---

(١) سورة فاطر – الآية ٣٢ .
(٢) جـ١٤ ص٣٤٧ .

مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[1] .

ويكون السابق بالخيرات هو الصنف الأول فى الحديث الممثل لـه بالطائفة الطيبة وهو العالم العامل المعلم ، وقد عقبت الآية عليه بقوله تعـالى : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴾[2] .

ويكون المقتصد هو العالم المعلم الذى يقوم بـالفرائض ولا يهـتم بالنوافـل ، ومثله مثل الأجـادب استرشـادًا بما جـاء عـن الطيبى – فيما سبق – .

ويكون الظالم لنفسه هو الذى يستمع العلم فلا يعيه ولا ينتفع به ولا ينفع به غيره ، أو يتلو القرآن الكريم ولا يعمل به ، ومثله مثل القيعان .

هذا وقد جاء فى حديث آخر فى الصحاح تمثيل قارئ القرآن الكريم

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٦٩ .
(٢) سورة الإسراء – الآية ٦١ .

العامل به ، بالأترُجّة ريحها طيب ، وطعمها طيب ؛ وقارئ القرآن الكريم الذى لا يعمل به ، بالزهرة ريحها طيب ولا طعم لها ؛ والذى لا يقرآ القرآن الكريم ، بالحنظلة لا ريح لها وطعمها مر .

كما ورد أن العالم الذى لا يعمل بعلمه ، ستندلق أقتابه فى النار ، ويدور حولها كما يدور الحمار فى رحاه ، فيسأله اهل النار : ما لك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه .

وأيضًا يشبه الرسول ﷺ من ليس فى جوفه شىء من القرآن الكريم بالبيت الخرب .

ويمثل القرآن الكريم علماء اليهود الذين لم يقوموا بواجب التوراة من العمل والتعليم بالحمار ، فيقول : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾[1] ؛ ويسمى ذلك تكذيبًا بآيات الله وظلمًا لأنفسهم ولغيرهم ، فيقول : ﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1] .

وإذن فتصنيف الأمة المسلمة على هذه الأصناف الثلاثة ليس بغريب وإن دخل فى الظالم لنفسه أو فى الذى لا يقرأ القرآن الكريم أو فى الحنظلة أو فى القيعان من رفض الإيمان كلية ، إذ يشترك ظاهر كل

---

(١) سورة الجمعة – الآية ٥ .

من الكافر والفاسق فى مظهر الإعراض والانصراف عن منبع الهدى والعلم ، فأما قضية الإيمان فعند الله سرها ، فلنا الظاهر والله يتولى السرائر .

ثم إن أمة محمد ﷺ حين منحت ميراث النبوة ، واصطفاها الخالق لأداء هذه المهمة ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس ، لم يكن يعنى ذلك اصطفاء كل فرد فيها ، وإنما هو اصطفاء الأمة بمجموعها لا بجميعها فلا يتنافى وجود المنحرفين الفاسقين مع قضية الاصطفاء والوراثة .

ما يؤخذ من الحديث

١ – العلماء العاملون الدعاة هم عماد الأمة ، وهم القائمون بواجب الخلافة عن الله تعالى ، وبواجب الميراث عن رسول الله ﷺ ، وهم سبب اصطفاء هذه الأمة ، ومثلهم كمثل الأرض الطيبة .

٢ – العلماء الدعاة الذين يكتفون بالفرائض فقط ويضيعون على أنفسهم فضل النوافل والسنن ، يجوز الأخذ عنهم والسعى إليهم للتعلم بصرف النظر عن تقصيرهم ، ما داموا يؤدون الفرائض ، فقد يدخلون فى مفهوم : « **أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ** » .

٣ – العلماء العاملون من غير الدعاة ، ناجون داخلون فى مفهوم الأرض الطيبة ، لأن عملهم وحده مدعاة للتأسى بهم .

٤ – العلماء المفرطون فى الفرائض ، لا يجوز أخذ العلم عنهم ، وهم داخلون فى مفهوم الفسقة ، والفاسق لا يؤمن على الكذب .

٥ – طلاب العلم الذين لا يعون ما يلقى إليهم ، ولا ينتفعون بــه ، ولا يعلمون غيرهم ، ولا يهدفون من ذلك إلا للنجاح والحصول علــى الشهادة ، يخشى أن يدخلوا فى مفهوم القيعان التى لا تمسك مــاء ولا تنبت كلأ .

٦ – ما جاء به رسول الله ﷺ من الوحى ، فيه الدليل والمدلول معًــا ؛ فيه الهدى والعلم ، فيه الحياة الحقيقية لمن أرادها ، فهو روح مــن أمر الله يحيى به موات القلوب كما يحيى الغيث موات الأرض .

النص السادس

روى البخارى : عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما عَنِ النَّبِىِّ ﷺ

قَالَ : « خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ ، فَدَخَلُوا فِى غَارٍ فِى جَبَلٍ ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ ، قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ ، إِنِّى كَانَ لِى أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ، ثُمَّ أَجِىءُ فَأَحْلُبُ ، فَأَجِىءُ بِالْحِلاَبِ فَآتِى بِهِ أَبَوَىَّ فَيَشْرَبَانِ ، ثُمَّ أَسْقِى الصِّبْيَةَ وَأَهْلِى وَامْرَأَتِى ، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ - قَالَ - فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَىَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِى وَدَأْبَهُمَا ، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، قَالَ فَفُرِجَ عَنْهُمْ ، وَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّى كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ ، فَقَالَتْ لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتِ اتَّقِ اللَّهَ ، وَلاَ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً ، قَالَ فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ ، وَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى اسْتَأْجَرْتُ أَجِيراً بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ ، فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَراً وَرَاعِيهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِى حَقِّى ، فَقُلْتُ انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا ، فَإِنَّهَا لَكَ ، فَقَالَ أَتَسْتَهْزِئُ بِى ، قَالَ فَقُلْتُ مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا ، فَكُشِفَ عَنْهُمْ »[1] .

---

(١) صحيح البخارى – كتاب البيوع – باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضى – حديث رقم ٢٢١٥ .

معانى المفردات

النفر : جماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وقيل إلى سبعة ، ولا يقال : نفر فيما زاد على العشرة ؛ والرهط كذلك ، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه .

الأهل : أصله القرابة ، وقد أطلق على الزوجة وعلى الأتباع فى كثير من الاستعمالات .

حلب : مضارعه بضم اللام من باب (قتل) ؛ والحلاب : الوعاء الذى يحلب فيه .

يتضاغون : يصيحون ويبكون ، وأصله : ضغا يضغو ضغوًا وضُغاء إذا صاح وضج ، ومنه حديث حذيفة فى قصة قوم لوط : " فألوى بها حتى سمع أهل السماء ضُغاء كلابهم " .

الخاتم : المراد به هنا البكارة .

ابتغاء : معناه : الطلب ، يقال : بغيته أبغيه ، وابتغيته ، وتبغيته بمعنى : طلبته ، والاسم بُغاء بزانة غراب ؛ وينبغى أن يكون كذا معناه : يندب ويطلب على سبيل التأكيد ؛ واستعمال ماضيه مهجور .

الفرق : مكيال يسع ستة عشر رطلاً[1] .

الإعــــــراب

ثلاثة نفر : (ثلاثة) : فاعل (خرج) ، وأنّث لأن المعدود مذكر

---

(١) راجع فى هذه المفردات المصباح المنير ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

– كما فى معانى المفردات – ، و(نفر) : مضاف إليه وهو التمييز .

يمشون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون ، و(واو الجماعة) فاعل ، والجملة فى محل نصب حال من (ثلاثة نفر) ، حيث تخصصت النكرة بالإضافة .

فأصابهم ... فدخلوا ... فانحطت : جمل معطوفة بالفاء الترتيبية .

لبعض : جار ومجرور ، والتنوين للعوض عن المضاف المحذوف ، والتقدير : لبعضهم .

ادعو الله : جملة فى محل نصب مقول القول .

عملتموه : جملة من فعل وفاعل ومفعول به فى محل جر صفة لـ (عمل) .

اللهم : منادى مبنى على الضم فى محل نصب لأنه مفرد معرفة ، والميم عوض عن حرف النداء فى رأى النحاة العرب .. ويرى بعض علماء النحو المقارن إن هذه اللفظة من اللغة السامية الأم تتفق مع لفظة : الوهيم فى اللغة العبرية ، وهى جمع مذكر بالياء والميم مفردها : الوه وهو فى العربية : إله ، ومعناه : رب الأرباب .

كان لى أبوان : (كان) فعل ناسخ ، و(لى) : شبه جملة خبر مقدم وجوبًا ، (أبوان) : اسم (كان) ، والجملة فى محل رفع خبر (إن) .

فكنت أخرج : (كنت) : كان واسمها ، (أخرج) : فعل مضارع فاعله مستتر وجوبًا تقديره : أنا ، والجملة فى محل نصب خبر (كان) وهذا التعبير يدل فى اللغة العربية على الماضى المستمر ، بمعنى أنه

يبين أن الخروج للرعى كان عادة مستمرة له ، لم يحدث مرة أن انقطع ولكن ذلك كان دأبه باستمرار ، ومثله ما فى كثير من الآيـات : ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[١] ، ﴿ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾[٢] ؛ إذ المعنى أن فسقهم وظلمهم لم يكن مرة واحدة ، ولكـنهم كـانوا متعـودين عليـه مستمرين ؛ وما فى بعض الأحاديث مثل : " كَانَ ﷺ يَكُونُ فِـى مِهْنَـةِ أَهْلِهِ – تَعْنِى خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ "[٣] ؛ وهكذا فى كل تعبير يأتى فيه الفعل الماضى (كان) ثم يأتى بعده المضارع .

أبوى : مفعول به منصوب بالياء نيابة عن الفتحة ، لأنـه مثنـى وحذفت منه النون لإضافته إلى ياء المتكلم .

ليلة : ظرف زمان متعلق بالفعل قبله (احتبست) ، أى : فى ليلة .

فإذا هما نائمان : (إذا) هنا فجائية داخلة على جملة اسمية كما هو الشأن فيها ، و(هما) : مبتدأ ، و(نائمان) : خبر .

والصـبية يتضاغـون : الواو للحـال ، (الصـبية) : مبتـدأ ، و(يتضاغون) : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون ، والواو فاعـل ، والجملة خبر المبتدأ ؛ وجملة المبتدأ والخبر فى محـل نـصب حـال والرابط الواو .

---

(١) سورة البقرة – الآية ٥٩ .
(٢) سورة الأعراف – الآية ١٦٢ .
(٣) صحيح البخارى – كتاب الأذان – باب من كان فى حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج – حديث رقم ٦٧٦ .

دأبى ودأبهما : (دأبى) : خبر (لم يزل) منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة مناسبة الياء ، والياء مضاف إليه ، و(دأبهما) : معطوف على الخبر منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهما مضاف إليه .

ابتغاء : مفعول لأجله ، عامله : فعلت ، منصوب بالفتحة الظاهرة .

فافرج : الفاء واقعة فى جواب الشرط لأنه جملة طلبية ، (افرج) : فعل أمر من باب (قتل) ، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره : أنت ؛ والجملة فى محل جزم جواب الشرط .

نرى منها السماء : الجملة فى محل نصب صفة لـ (فرجة) .

إن كنت تعلم إنى أحب امرأة : (إن) هذه لا تصلح أن تكون شرطية ، إذ لا جواب لها ، والقائل لا يشك فى علم الله بذلك ؛ ولا تصلح أن تكون نافية ، فالقائل لا ينفى علم الله بذلك ؛ ولكنها (إن) المخففة من الثقيلة ، اسمها ضمير الشأن محذوف وخبرها فعل ناسخ على القاعدة وهو (كنت تعلم) ؛ غير أنه لم يقترن خبر هذا الناسخ باللام الفارقة كما هو متبع فى مثل قوله تعالى : ﴿ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾[2] لوضوح المعنى بدون اللام ؛ والأصل أن يقال : إن كنت لتعلم إنى ...

---

(١) سورة الصافات – الآية ٥٦ .
(٢) سورة الأعراف – الآية ١٠٢ .

إنى كنت أحب : الياء اسـم (إن) ، والتاء اسم (كان) ؛ وجملة (أحب) خبر (كان) ، وجملة (كان) خبر (إن) ، وجملـة (إن) فى تأويل مصدر سد مسد مفعولى (تعلم) .

من بنات عمى : شبه جملة فى محل نصب صفة لامرأة .

ما يحب الرجل النساء : (ما) : اسم موصول مضاف إليـه فـى محل جر ؛ وجملة (يحب الرجل النساء) صلة الموصول لا محل لهـا من الإعراب .

ولا تفض الخاتم : (لا) : ناهية ، (تفـض) : فعـل مـضارع مجزوم بـ (لا) الناهية وعلامة جزمه الـسكون المحـرك لالتقـاء الساكنين ، حيث الضاد الأولى المدغمة فى الـضاد الثانيـة سـاكنة ، والضاد الثانية ساكنة أيضًا للجزم ، فحركت بالفتحة للخفة تخلصًا مـن التقاء الساكنين ، والفاعل ضمير مستتر ، و(الخـاتم) : مفعـول بـه منصوب بالفتحة .

أن يأخذ : (أن) حرف مصدرى ونـصب ، (يأخـذ) : فعـل مضارع منصوب بـ (أن) وعلامة نصبه الفتحة ، والفاعل مـستتر جوازًا تقديره : هو ؛ و(أن) وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول به لـ (أبى) .

يا عبد الله اعطنى حقى : الجملتان فى محل نصب مقول القـول ؛ والأولى جملة نداء ، فـ (عبد الله) منادى منـصوب بالفتحـة لأنـه مضاف ؛ والثانية جملة طلبية ، الفاعل مستتر وجوبًا ، والياء مفعـول أول ، و(حقى) : مفعول ثان ومضاف إليه .

فقه الحديث وشرحه

ورد هذا الحديث فى أكثر من أربعة مواضع فى البخارى ، وشرحه الفتح تحت عناوين مختلفة لما يشتمل عليه من أحكام واستنباطات ، فعلى حين ورد – فى هذه الرواية – فى باب " إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه فرضى " ؛ إذا هو يأتى به فى باب " إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم وكان فى ذلك صلاح لهم " ؛ وهو يأتى به كذلك فى باب " من استأجر أجيرًا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد ، أو من عمل فى مال غيره فاستفضل " ؛ وهو يأتى به أيضًا فى باب " إجابة دعاء من بر والديه " ؛ وهكذا .

والبخارى يستنبط منه صحة بيع الفضولى ، ولا يستدل به من منظور أنه شرع من قبلنا ، ولكن لأن الرسول ﷺ ساقه مساق المدح والإشادة .

على أن البخارى حين يرويه تحت هذه الأبواب ، لا يأتى به من طريق واحد وبألفاظ متحدة ، بل بروايات مختلفة ، لكنها جميعًا عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ؛ ومن مظاهر الاختلاف ما جاء فى باب " من استأجر أجيرًا فترك أجره ... " ، حيث كانت الرواية عَنِ الزُّهْرِيِّ عَن سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضى الله عنهما قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « **انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ ....** » ؛ فنجد أن سلسلة الرواة مختلفة ، ولكنها تلتقى عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ؛ كما نجد أنه فى هذه الرواية ينص على السماع ، ثم يعبر بـ (انطلق) مكان (خرج) ، وبـ (رهط) مكان (نفر) والمعنى واحد ؛ على أننا نجد

فى هذه الرواية ما يوضح بعض التفصيلات المطلوبة فى الرواية الأولى ، وذلك مثل بيان دخولهم إلى غار الجبل للمبيت فيه ؛ ومثل بيان سبب تأخير الراعى بأن طلب المرعى فى هذا اليوم كان نائيًا بعيدًا ؛ ومثل بيان أن هذا الرجل قد بدا منه قبل مساومته ابنة عمه محاولات سابقة فى مراودتها عن نفسها وإبائها ذلك ، وأنه ما ألجأها إلى إبرام هذا الاتفاق إلا شدة ألمت بها وفقر أحوجها ، وأن هذا الرجل قد زادها عشرين دينارًا فوق المائة ، وأنه حين استيقظ ضميره بعد سماعه لعظتها وهى مغلوبة على أمرها ترك لها الذهب ، وأنه انصرف عنها وهى أحب الناس إليه .

وفى حكاية الأجير ، بيّنت الرواية الثانية أن الناتج من الأجر لم يكن بقرًا وراعيها فقط ، ولكنه كان إبلاً وبقرًا وغنمًا ورقيقًا ؛ وأن الرواية الأولى اكتفت بذكر البقر ، لأنه أبرزها وأجملها وأثمنها وما عداه تابع له .

بقى أن نعلم : أن هذه المثل الرائعة التى ضربها المصطفى ﷺ لأمته – ممن كان قبلهم – قد بلغوا الغاية ، كل فى مجال سلوكه ، ولكنهم جميعًا يلتقون حول الدافع والحافز لهم على هذا التصرف وهو طلب رضوان الله ، وإخلاص النيّة فى العمل له وحده ، ولذلك طلبوا منه وحده وهم فى تلك الشدة التى أيقنوا أنه لا ينجيهم منها إلى الله تعالى ؛ وما داموا قد عملوا لله فى رخائهم ، فإن لهم حقًا أن يطلبوا فى شدتهم معونة من كانوا يعملون له وحده ابتغاء فضله ورضوانه ، ثم هم

لا يتوسلون لله بأقاربهم أو أولادهم أو مشايخهم ، ولكن بأعمالهم الصالحة التى صدرت عن إخلاص وصدق طوية ؛ وهذا ما يريده منا الإسلام حين يقول رسول الله ﷺ : « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى** » ، وقوله : « **اعمل ما شئت ، كما تدين تدان** » ؛ إنهم جميعًا كانوا يختمون حديثهم بقولهم : « **اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّى فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا** » ، ولأن الله يعلم صدقهم كشف كربتهم ؛ ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾[1] .

وإذا دخلنا إلى تفاصيل السلوك العجيب الذى تميز به هؤلاء ، فإننا نجد أن هذا الولد البار لأبويه الكبيرين قد بالغ فى الإحسان والاحترام حتى فضلهما على زوجته وأطفاله وأمواله ، سواء كانت أمواله رقيقًا أم أنعامًا فى وقت يتصايح فيه الصبية تحت رجليه يسترحمونه ويستعطفونه فيدغدغ مشاعره وعواطفه الأبوية وفاء بعادة فاضلة تعودها مع أبويه ؛ ماذا كان عليه لو شرب هو وأولاده وزوجته وأمواله وأبقى لأبويه نصيبهما ؟ بل ماذا كان يخيفه من أبوين شيخين كبيرين لا حول لهما ولا قوة ؟ إن الشعور هنا غير مرتبط بعلائق الأرض ولا تصوراتها وتقديراتها ، ولكنه موصول برقابة الذى لجأ إليه فلبى دعاءه .

كما أنك تشتم من سياقه لقصته أنه كان مجاهدًا دؤوبًا فى السعى على أبويه وأهله ، لا يشعر بملل أو تعب فى سبيل قيامه بواجبه ؛ وما

---

(١) سورة الأنبياء – الآية ١٠٦ .

أشبه هذا بمن قال فيه رسول الله ﷺ : « **مَنْ سَعَى عَلَى وَالِدَيْهِ فَفِى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَنْ سَعَى عَلَى عِيَالِهِ فَفِى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَنْ سَعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيُعِفَّهَا فَفِى سَبِيلِ اللَّهِ** »[1] .

وأنت أيضًا تلمس من هذا الرجل صبرًا عجيبًا وجلدًا لا يقوى عليه إلا الصادقون فى إيمانهم الصارمون فى تنفيذ ما يقربهم لربهم .. إنه رجل قد نأى به طلب المرعى ، ومعنى هذا أنه قد أجهد نفسه فى ذلك طول النهار ، وجاء متأخرًا ، جائعًا ، مكدودًا ، يحتاج إلى الراحة والشراب ، ولكنه يظل طول ليله يحمل قدح اللبن على يديه واقفًا يترقب استيقاظ أبويه حتى يبرق نور الفجر ويسقى أبويه !! من يطيق ذلك إلا الصفوة ؟!!

وهذا الشاب الذى تفور فى دمائه رغوة الشباب ، ويملك عليه حبه لبنت عمه القلب والفؤاد ، ويتفق معها أخيرًا وبعد محاولات ومساومات على مبلغ ضخم بالنسبة إليه – وهو الفقير المحتاج – فيسعى دائبًا فى تحصيله كى يحقق مأربه ، ويجمعه ، ويتشوق إلى اللحظة التى يطفئ فيها ظمأه ، فإذا فطرته التى غشاها الشيطان ينكشف غطاؤها بكلمة صادقة ، وعظة رائعة من شابة مقهورة ضعيفة بائسة ، فيقوم ناهضًا دون أن ينغمس فى حماة الرذيلة ، يعفو وهو القادر ، ويكبت وهو المغرم العاشق ، ويجود بكل ما معه مما جمعه بالكدح والعرق .. وما كان يمنعه من ذلك خوف من هذه المستسلمة ، ولا من شرطة أو قانون ، ولا من أى بشر ، ولكنه الخوف من الله ، وابتغاء مرضاة الله .

---

(١) سنن البيهقى – كتاب السير – باب الرجل لا يجد ما ينفق – حديث رقم ١٨٢٨٠ .

ولنا أن نقف أمام تلك الفتاة البكر العفيفة التى تتـأبى علـى كـل المغريات ، وتضغط مشاعرها نحو هذا المحب المستهام ، وحتى آخـر لحظة من المقاومة تذكره بالحـلال والحـرام ، وتبرأ من رغبتها فـى هذا الذى تراه ..

وهذا الرجل الذى لم يستعبده ماله ، ولم يستجب إلى ما يدعوه إليه من شر وطمع وجشع وحرص ، يستأجر أجراء ليقوموا له بعمل محدد ، فيأتي شاب وسط النهار فيطلب العمل فيمكنه ، فإذا به يظهر من النشاط والجد ما جعله يلحق بإخوانه الذين عملوا من أول النهار ، فـلا يجـد المستأجر غضاضة فى أن يمنحه مثل إخوانه ، حيث قد عوض الوقـت الذى فاته بالجد والكدح ، فيعترض أحد الأجراء على هذا التـصرف : كيف يتساوى هذا معهم ؟ فيقول لهم : " إنه مالى أتصرف فيـه كيـف أشاء " ، فيغضب أحدهم ويترك أجره وينصرف ، ولو أن هذا الرجـل من عامة الناس لقال : " فليمض إلى سبيله وليضرب رأسه فى الحائط " ، ولكنه يأخذ أجره فيعزله ويزرعه فى منطقة خاصة به ، فيبارك الله فيه ، فيخرج منه زرع كثير ، يبيعه الرجل ويشترى بثمنه إبلاً وبقرًا وغنمًـا ورقيقًا .. حتى إذا جاء يطلب أجره بعـد تلـك المـدة الطويلـة ، إذا بالسماحة والسخاء يتبديان فى قوله : كل ما تراه من الإبل والبقر والغنم والرقيق لك ؛ حتى يعتقد الأجير أن الرجل يستهزئ به ، ولكنه ينفـى ذلك ويستاق الأجير كل هذا الخير فلا يترك منه شيئًا .

وبقليل من التأمل فى هذا التصرف ، ندرك السمو الخلقى عند هذا

الرجل ، إن من حقه أن يعطى لهذا الرجل فرقًا من ذرة أو أرز – كما كان متفقًا عليه – ويكفيه أنه حفظه له تلك المدة من السوس أو من التلف .

ومن حقه – إذا نماه – أن يأخذ مقابل التنمية ، فلقد زرع في أرضه ، ورواه بماء من عنده ، وهو الذى زرعه ، وهو الذى حصده ، وهو الذى باعه ، وهو الذى اشترى به كل هذه الأموال ؛ أليس من حقه أن يقاسمه ؟!!

ثم ما الذى كان يخافه الرجل لو لم يعطه ما أعطاه ؟ هل كان يخاف من هذا الأجير ، أو من القانون ، أو من الناس ؟ إنه الخوف من الله ، وابتغاء رضوان الله ؛ ورضوان الله فوق كل جزاء .

الفصل الثالث

النص السابع

لاميـــة العـــرب

وهى القصيدة الذائعة الصيت التى ينتهى رويها باللام ؛ وتناقلتها الألسنة عبر الأيام ، واشتهرت بهذا الاسم حتى من قبل الإسلام ، لما اشتملت عليه من الخلائق العربية ، والبطولة الفدائية ، ولما فيها من معالم الوفاء ، والشجاعة ، والقناعة ، والفصاحة ، وقد ورد عنها أثر ينسب إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو : " **علموا أولادكم لامية العرب ، فإن فيها القناعة والشجاعة** " .

وهى تقابل بهذا الاسم " لامية العجم " للطغرائى ، المتوفى سنة ٥١٥هـ ؛ التى أولها :

أصالةُ الرأى صانتْنِى عن الخَطَلِ ∴ وحِليةُ الفضلِ زانتنى لدَى العَطَلِ

وقد عورضت " لامية العجم " بـ " لامية ابن بهران " التى أولها :

الجد فى الجد والحرمان فى الكسل ∴ فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

هذا وقد شرحت " لامية العرب " تلك من كثير من الأدباء واللغويين ، وأشهر شروحها كتاب " أعجب العجب فى شرح لامية العرب " للإمام الزمخشرى ؛ كما شرحها من قبله المبرد النحوى ؛ وغيرهما[١] .

---

(١) راجع " قطوف دانية من ثمار الأدب النضير " للأستاذ الدكتور/ عبد السلام سرحان .

نبذة عن صاحب هذه اللامية

هو عمرو بن مالك الأزدى[١] اليمانى القحطانى ، أحد الشعراء الصعاليك الفتاك ، ويلقب بالشنفرى[٢] – بفتح الشين ، وسكون النون ، وفتح الفاء والراء – وكان عداء واسع الخطى ، قيست قفزاته ليلة مقتله فكانت الواحدة منها قريبًا من عشرين خطوة ، وفى الأمثال العربية : " أعدى من الشنفرى " ؛ وقد قتل قبل الهجرة بسبعين عامًا[٣] .

والشعراء الصعاليك – ومنهم صاحبنا الشنفرى – نتاج لم يكن هناك بد من ظهوره واستعلانه فى البيئة العربية الجاهلية ، حيث النظام القبلى العنيف ، ونظام الرق السخيف ، والأعراف التى لا تعتمد على كرامة ، ولا عدالة ، ولا على مروءة ، مما دعا مجموعة من الشباب الأحرار أن تتمرد على تلك الأعراف والمألوفات ، ولم تجد أمامها وسيلة للتغيير إلا أن تلجأ إلى الصحراء بمغاراتها وكهوفها ؛ تتخذ منها مأوى وسكنًا ، ويُغيرون منها على الأغنياء والسادة والظَلَمة ، يسلبون وينهبون ويقتلون ؛ ولقد كانوا فى أول عهدهم لا يقتلون إلا المجرم ، ولا ينهبون إلا الظالم ، ولا يثأرون إلا من العتاة ، ثم ما لبثوا أن

---

(١) **الأزدى** : منسوب إلى الأزد ، وهى قبيلة كبيرة من قبائل اليمن ، تفرقت بعد حادث سيل العرم إلى قبائل كثيرة أشهرها : أزد شنوءة ، وأزد عمان ، وأزد السراة ، وأزد غسان ، ومن أزد غسان الأنصار ، وبنو جفنة وخزاعة .

(٢) **الشنفرى** : الأسد أو الجمل الكثير الشعر ، من قولهم : " فى رأسه شنفارة " أى : نشاط وجدة ؛ وعلى أن النون زائدة تكون من قولهم : " أذن شفارية " أى : كثيرة الشعر والوبر ، أو قولهم : " ضب شفارى " أى : طويل ضخم .

(٣) راجع " الإعلام " للزركلى – جـ٥ ص٨٥ .

احترفوا الجريمة حين تزلزلت فى نفوسهم القواعد الاجتماعية العامة فى جو لا يحكمه سوى قانون الغاب والفوضى .

ولقد كانت طفولة الشنفرى تشى بالعبقرية الأدبية ، والالتزام بالمبادئ الإنسانية السامية ، غير أنه لم يلبث حتى اصطرع قومه مع " بنى شبابة " وهى إحدى قبائل " فهم بن عدوان " فهزمتهم وخذلتهم وقتلت أباه مالكًا الأزدى ، وأخذ هو أسيرًا سيق إلى نجوعهم كالسائمة ، ثم زهدوا فيه فباعوه واستبدلوا به أسيرًا منهم وقع فى أيدى أعدائهم " بنى سلامان " فارتحل إلى وطن جديد ؛ ونشأ فى " بنى سلامان " حتى ظن أنه ابن ذلك الرجل الذى تبناه منهم ، وزامل ابنته " قعسوس " فى الرعى ، وحين تفرس الرجل فى هذا الغلام النجابة المتفردة ، والشمم والإباء والشجاعة ، أخفى عنه حقيقة وضعه ، حتى أتت مناسبة مشئومة انكشف فيها الغطاء ، ذلك أنه فى أحد الأيام جمعه المرعى مع أخته " قعسوس " وكان أبوهما غائبًا ، فطلب منها أن تغسل رأسه ، فأنفت ولطمته على خده صفعة أطارت لبه ، وأدهشته ، ولم يرد عليها منتظرًا حضور أبيها ، وحينذاك سأله الشنفرى : " ممن أنا ؟ " فقال الرجل متوهمًا أن الشنفرى عرف حقيقة أصله : " إنك من الأواس بن الحجر " فأنشد يقول :

أَلا لَيتَ شِعرِىَ وَالتَلَهُّفُ ضَلَّةٌ ∴ بِما ضَرَبَت كَفُّ الفَتاة هَجينَها

وَلَو عَلِمَت قُعسوسُ أَنسابَ وَالِدى ∴ وَوالِدها ظَلَّت تَقَاصَرُ دونَها

أَبى ابنُ خِيارِ الحُجر بَيتاً وَمَنصِباً ∴ وَأُمّى ابنَةُ الأَحرَارِ لَو تَعرِفينَها

وهاج الشنفرى وماج وتوعد بالانتقام ممن خـدعوه واسـتعبدوه ، فرأى الرجـل – لما يعرف عنه من نجابة – أن يستل حقده ، فقال له : " لقد كان بودى يا بنى أن أزوجك " قعسوس " ؛ فقال فى لهفة : " ومـا يمنعك ؟ " ، قال : " إنى أخشى أن يقتلنى قومى " ؛ ففكر الشاب قليلاً ثم قال : " لئن قتلوك لأقتلن منهم مائة فى دمك " ؛ فتشجع الرجل ومـزق أغـلال هذا التقليد المتهرئ المبنى على التفرقة العنصـرية وزوجـه من " قعسوس " .. ولكن حدسه صدق ، ولم يتركه قومه حتى قتلـوه .. وهنا وقف الشنفرى أمام نفسه وجهًا لوجه ، لقد كان هو السبب ، وهـو الذى وعد الرجل أن يقتل به مائة ، وهذا الرجل يستحق فعلاً أن يبـر بوعده معه بعد مقتله ، فهو الذى آواه وكرمه ، وهو الذى تبنـاه ولـم يشعره بالرق والعبودية .. ولكن أنى له بقتل مائة وهو يعيش بيـنهم ؟! وإذن فالحل أن يخرج إلى الصحراء وينضم إلى الصعاليك ، ويعيش فى الأكنان ليستطيع رصد أعدائه ، وفعلاً تمكن من قتل تـسعة وتـسعين رجلاً قبل أن ينصبوا له الشباك ويأسروه ، وحينئذ بدأوا يتشفون منه ، فأصلوه أنكى أنواع التعذيب الذى بدأ برميه بسهم فى عينه ففقئت ؛ فقال لهم : " كاك كنا نفعل " ؛ ثم قطعوا يده اليمنى ، ثـم قتلـوه وصـلبوه وعلقوه عامين على أبواب حيهم حتى صار هـيكلاً عظميًـا تمزقـت أوصاله وتساقطت مفاصله ، فتقدم أحدهم إلى جمجمته فركلهـا بقدمـه فدخل فيها من جمجمته جزء مدبب أصابه بالتسمم فمات ، فاكتمل بموته العدد الذى وعد به الشنفرى وهو مائة رجل ، وكأنما أبت الأقدار إلا أن يوفى بنذره حتى بعد موته .

هذا وقد كان شاعرًا موهوبًا ، غير أن الزمن طمــر شــعره فــى الرمال ، ولم يرد عنه قصيدة كاملة سوى لاميته وتائيته .

ومن هذا العرض يتبيّن :

أن الشنفرى فى الحقيقة مثل واضح لما يمكــن أن تفــرزه البيئــة المختلة من تضييع للمواهب ، وقضاء على القيم ، وتشجيع على سلوك سبل الفساد والإفساد ، والحقد والانتقام ، بدلاً مــن أن يكــرس حياتــه وكفاحه من أجل مجتمعه ولغته وفنه .

إنه وليد التشتت والضياع ، وحصاد الظلم والطغيان والاستبداد ، إذ كان لكل قبيلة تشعر بالقوة والمال أن تغير وتهاجم جاراتها الضعيفات ، فتسلب وتنهب ، وتقتل وتأسر وتستعبد الأحرار ، وتــستذل الــسادة ، وتستخدم الســيدات على غير ذنب جنوه ، ولا إثم ارتكبــوه ، ولكنــه قانون الغاب .

ثم إن حياته الثرية بالمواقف والعبر لتوحى بفساد نظــام التبنــى ، وتبرز أثره المدمر على المتبنى حين يكتشف الحقيقة المرة ، كما توضح مدى العنجهية القبلية التى ترفض أن تزوج البنت مــن حــر موهــوب لمجرد أنه اقتيد عنوة للأسر بلا جريرة ولا جريمة .

ثم نلمس كذلك كيف كانت نفسية العربى مطبوعة على الوفاء النادر بحيث تبيع حياتها ونعيمها واستقرارها وكل ما يستلذ لها فى ســبيل أن تفى بما قطعته على نفسها من عهد .

ومن هنا نتبين مدى روعة التشريع الإسلامى فى القضاء على الهمجية واستعباد الناس ، وعلى التبنى ، وعلى الفوارق المصطنعة ، وفى تشجيع المواهب ، والحنو على الصغار ، والعناية بتربية النشء .

هذا والقصيدة خير شاهد على كل ما ذكرناه عن " الشنفرى " وعن الصعلكة ، وعن البيئة العربية بعامة ؛ ولأن الشعراء الجاهليين لم تكن لديهم فكرة الوحدة العضوية فى القصيدة ، بحيث يستدعى البيت ما بعده ، ولا يصلح ما بعده إلا بما قبله .. كانت هذه القصيدة فى معظمها مبنية على وحدة البيت لا وحدة القصيدة ، ولذا اضطرب الرواة فى ترتيب أبياتها التى بلغت سبعين .. فالمستشرق " ريدهاوس " يترجمها بترتيب فى كتابه " نشيد الصحراء " يختلف عن رواية الزمخشرى ، على أن الاختلاف مقصور على الترتيب وعلى استبدال بعض كلماتها بكلمات أخرى تدل تقريبًا على نفس المعنى كـ أهل ورهط وهكذا ، وإليك النص واللغويات ، ثم البلاغيات والاستنباطات :

القصيدة ومعانى المفردات

١ – أَقيموا بَنى أُمّى صُدورَ مَطِيِّكُم ∴ فَإِنّى إِلى قَومٍ سِواكُم لأَمَيلُ[1]

---

(١) معانى المفردات :

مطيكم : المطا وزان العصا : الظهر ، ومنه قيل للبعير مطية على وزن فعيلة ، بمعنى : مفعولة ، لأنه يركب مطاه ، وتجمع المطية على : مطى ومطايا ، أما المطا فجمعه أمطاء .

٢ – فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ ∴ وَشُدَّت لِطيّاتٍ مَطايا وَأَرحُلُ[(١)]

٣ – وَفى الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى ∴ وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ[(٢)]

٤ – لَعَمرُكَ ما فى الأَرضِ ضيقٌ عَلى امرِئٍ ∴ سَرى راغِبًا أَو راهِبًا وَهوَ يَعقِلُ[(٣)]

٥ – وَلى دونَكُم أَهلَونَ سيدٌ عَمَلَّسٌ ∴ وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ[(٤)]

---

(١) **معانى المفردات :**

حمت : قدرت وتحددت .

الطية – بكسر الطاء – : الحاجة أو المكان المقصود ، متصلة بالطى ، كأن الحاجة قد انطوت فى نفسه وحددها لنفسه ولم يطلع عليها أحدًا .

(٢) **معانى المفردات :**

المنأى : اسم مكان من نأى بمعنى : بعد .

الكريم : صفة مشبهة من كرم المضموم الراء ، وهو الحر الأبى .

القلى : الهجر من قلاه يقليه ويقلاه .

المتعزل : اسم مكان أو مصدر ميمى من الاعتزال ، فالكريم يعاف الذل لا يقيم على الضيم .

(٣) **معانى المفردات :**

العمر والعمر – بضم العين وفتحها – : الحياة والبقاء ، أو هو زمن الحياة والبقاء ، لكن العرب قد اختصت فتح العين بالقسم ، بحيث لا يستعمل فى غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ؛ وفى ذلك -- كما قال ابن عباس – قسم بحياة رسول الله ﷺ ، ولم يقسم بحياة غيره قط ؛ وفى ذلك تعظيم وتكريم لم ينله سواه ، وتنويه بعظمة تلك الحياة .

سرى : سارٍ أول الليل ، وأسرى : آخره ، وقيل : هما بمعنى : السير فى الليل مطلقًا ؛ والمعنى : أن الأرض رحبة مستعدة لاستقبال المهاجرين رغبة أو رهبة ، فالعاقل من لا يقيم على مذلة .

غوامض الإعراب :

" لَعَمرُكَ " : مبتدأ خبره محذوف وجوبًا .

(٤) **معانى المفردات :**

دونكم : أقرب لى منكم من غيركم .

=

٦ – هُمُ الرَهطُ لا مُستَودَعُ السرِّ ذائعٌ ∴ لَدَيهِم وَلا الجانى بِما جَرَّ يُخذَلُ[١]

٧ – وكُلٌّ أَبِى باسِـلٌ غَيرَ أَنَّنى ∴ إذا عَرَضَت أُولى الطَرائِدِ أَبسَلُ[٢]

٨ – وَإِن مُدَّتِ الأَيدى إِلى الزادِ لَم أَكُنْ ∴ بِأَعجَلِهِم إِذ أَجشَعُ القَومِ أَعجَلُ[٣]

= **أهلون** : ملحق بجمع المذكر السالم ، مفرده : أهل ، وهو ليس عَلَمًا ولا صفة .
السيد – بكسر السين – : الأسد بلغة هذيل ، وبلغة سواهم : الذئب .
العملس – بتشديد اللام – : الذئب القوى على السير السريع السلس ؛ وكأن هذا اللفظ منحوت من العمل والسلاسة .
الأرقط : النمر المخطط الجلد . **الزهلول** : الناعم الأملس .
العرفاء : الضبع . **الجيال** : اسمها .

(١) **معانى المفردات :**

الأهل : تروى عنه بلفظ الرهط .

ذائع : تروى : شائع ، وكلاهما بمعنى

بما جر : بما أذنب ، ومنه الجريرة التى تجر إلى العقاب .

غوامض الإعراب :

" لا مُستَودَعُ السرِّ ذائِعٌ " : الجملة فى موضع نصب حال .

(٢) **معانى المفردات :**

الأبى : الذى يأبى الذل ، على وزن فعيل بمعنى : فاعل ، وهو من صيغ المبالغة .
الباسل : الشجاع الكريه الوجه . **عرضت** : ظهرت .
الطرائد : جمع طريدة ، بمعنى : الكتيبة المهاجمة ، وهى على وزن فعيلة بمعنـــى : مفاعلة كـــ رفيق بمعنى : مرافق .
أبسل : أفعل تفضيل من البسالة .
غوامض الإعراب :
" أَبسَلُ " : خبر " أَنَّنى " مرفوع .

(٣) **معانى المفردات :**

الجشع : الحرص والطمع الزائدان .
غوامض الإعراب :
" بِأَعجَلِهِم " : الباء زائدة ، و(أعجل) خبر " أَكُنْ " مجرور لفظًا منصوب محلاً

٩ – وَما ذاكَ إلاّ بَسطَةٌ عَن تَفَضُّلٍ ∴ عَلَيهِم وَكانَ الأَفضَلَ المُتَفَضِّلُ(١)

١٠ – وَلي صاحِبٌ مِن دونِهِم لا يَخونُني ∴ إِذا التَبَسَــت كَفّي بِهِ يَتَأَكَّلُ

١١ – وَإِنّي كَفاني فَقدُ مَن لَيسَ جازِيًا ∴ بِحُسنى وَلا في قُربِهِ مُتَعَلَّلُ(٢)

١٢ – ثَلاثَةُ أَصــحابٍ فُؤادٌ مُشَيَّعٌ ∴ وَأَبيَضُ إِصليتٌ وَصَفراءُ عَيطَلُ(٣)

١٣ – هَتوفٌ مِنَ المُلسِ المُتونِ يَزينُها ∴ رَصائِعُ قَد نيطَت إِلَيها وَمِحمَلُ(٤)

---

(١) **معانى المفردات :**

البسطة : السعة واليسر . **التفضل** : الإحسان دون مقابل .

غوامض الإعراب :

" وَكانَ الأَفضَلَ المُتَفَضِّلُ " : تقدم خبر (كان) على اسمها .

(٢) **معانى المفردات :**

بنعمى : يروى بحسنى ؛ والمراد واحد ، إذ كان لديهم من يجزى بالحسنى أو يقابل السيئة بالحسنة مذموم ، إذ ينبئ ذلك عن ضعفه ، والرجل الشجاع هو من يقابل الإساءة بأشد منها .

المتعلل : مصدر ميمى بمعنى : التلهى والتماس العلل والحجج ، فالمقدام لا يتعلل بشيء ولا يرضيه سوى القضاء على عدوه .

(٣) **معانى المفردات :**

مشيع : اسم مفعول من شيع المضعف ، ومعناه : القوى الثابت المطمئن الذى يعتمد على شيعة من أعوانه .

الأبيض الإصليت : السيف الذى يصلت أى : يرفع من غمده .

الصفراء : القوس المصنوعة من خشب النبع .

العيطل : القوية المتينة الغنية عما يقويها ، قال المبرد : " ولا أعلم أحدًا وصف القوس بهذه الصفة سواه " ؛ وكأنها صفة مشبهة على وزن فيعل من العطل ، إذ المرأة العاطل هى التى لا تلبس ما تزين به نفسها ؛ والشاعر هنا يكتفى بقلبه الشجاع ، وسيفه المصلت ، وقوسه المتينة عن الأهل والأعوان .

(٤) **معانى المفردات :**

الهتوف : بوزن صبور ، صيغة مبالغة بمعنى : المصونة أو ذات الصوت المرعب ؛ وهى وصف للقوس المتينة فى البيت الأول .

الملس : جمع ملساء ، كـ بيض جمع بيضاء ؛ والملساء : الناعمة الخالية من =

١٤ – إذا زلَّ عنها السهمُ حنَّت كأنَّها ∴ مُرَزَّأةٌ ثكلى ترنُّ وتُعــولُ[١]

١٥ – وأغدو خميصَ البطنِ لا يستفزُّني ∴ إلى الزاد حرصٌ أو فؤادٌ مُوكَّلُ

١٦ – ولستُ بمِهيافٍ يُعشّى سوامَهُ ∴ مُجَدَّعةً سُقبانها وهى بُهَّلُ[٢]

= العقد وأسباب الخشونة .

الرصائع : جمع رصيعة كـ حدائق جمع حديقة ؛ والرصيعة : ما يحلى به القــوس ويزين من سيور أو حلق من جوهر أو ذهب أو غيره .

نيطت : علقت . **المحمل** – بكسر الميم كـ مبرد – : اسم آلة حمل القوس .

هذا وقد روى هذا البيت باستبدال كلمة (الحسان) بكلمة (المتون) التى تعنــى الوصــف بالحسن للقوس كلها متنها وغيره ، كما استبدلت فى الرواية الأخرى كلمة (إليها) بكلمة (عليها) ؛ والمعنى العام واحد .

غوامض الإعراب :

" قد نيطت إليها " : جملة في محل رفع صفة لـ " رَصائعُ " ؛ وكــذلك جملــة " ترنُّ وتُعولُ " : صفة لـ " مُرَزَّأةٌ " ، ويجوز كونها حالاً .

(١) معانى المفردات :

زل السهم : خرج عن القوس .

أنت : أصدرت صوت الأنين وهو صوت الوتر ؛ ورويت : حنت من الحنين .

المرزاة : اسم مفعول أى : المصابة بالأرزاء والمصائب .

الثكلى : التى فقدت ابنها الوحيد أو أباها .

ترن : من الرنين ، وهو الصوت الرقيق .

تعول : من الإعوال ، وهو البكاء بصوت مرتفع ؛ وفى هذا البيــت وصــف رائــع لصوت خروج السهم من القوس .

(٢) معانى المفردات :

المهياف : السريع العطش ، أو الذى يطلب المرعى لإبله فى مكان بعيد وهو يجهــل الأماكن الصالحة للرعى ، فتعطش منه الماشية التى يرعاها .

يعشى : يعود بها عطشى فى العشى .

السوام : هو والسائمة بمعنى واحد : كل ما رعى من المال فى الفلوات .

المجدع : السيء الغذاء .

السقبان : أولاد الناقة حين تتميز ذكورتها وأنوثتها .

بهل : جمع باهلة ، وهى الناقلة المخلاة التى ترك لبنها لوليدها ؛ أو التــى يتركهــا راعيها حرة ؛ يصف نفسه بالفطنة والقوة يرعى سوائمه بالغــذاء الجيد حتى =

١٧ - وَلا جَبَإٍ أَكهى مُرِبٍّ بِعِرسِهِ ∴ يُطالِعُها فى شَأنِهِ كَيفَ يَفعَلُ[(١)]

١٨ - وَلا خَــرِقٍ هَيقٍ كَأَنَّ فُؤادَهُ ∴ يَظَلُّ بِهِ المُكَّاءُ يَعلو وَيَسفِلُ[(٢)]

١٩ - وَلا خــالِفٍ دارِيَّةٍ مُتَغَــزِّلٍ ∴ يَروحُ وَيَغدو داهِنًا يَتَكَحَّلُ[(٣)]

= تعود سمينة .

غوامض الإعراب :

" مُجَدَّعَةً سُقبانُها " : " سُقبانُها " نائب فاعل لاسم المفعول .

(١) معانى المفردات :

الجبأ – بوزن سكر – : الجبان . **الأكهى** : السيء الخلق ، الذى لا خير فيه .

المرب : المقيم فى البيت مع النساء لا يفارقهن من أرب بالمكان أى : لزمه وأقام فيه

العرس – بكسر العين – : الزوج ذكرًا أو أنثى ، فهو عرسها وهى عرسه وهما عرسان ، و– بضم العين – : الزفاف والتزويج والوليمة ، وجمعهما أعراس

يطالعها : يشاورها .

شأنه : رويت : أمره ، وكلاهما بمعنى واحد ؛ وفى هذا البيت يصف نفسه بالشجاعة وحسن الخلق وقوة الشخصية .

(٢) معانى المفردات :

الخرق : صفة مشبهة بمعنى الذى يدهش من الخوف أو الحياء .

الهيق : صفة مشبهة كـ السهل والحزن ، وهو : الذى ينفر عند حدوث أى مروع مفزع ، ويطلق على ذكر النعام لتوافر هذه الصفة فيه .

المكاء : طائر يتصعد ويتسفل فى طيرانه ؛ والقلب حين يضطرب يعلو ويتسفل ، فبالغ فى ذلك .

(٣) معانى المفردات :

الخالف : المتخلف عن الخير ، ومثله : الخالفة ، والتاء فيها للمبالغة كـ الراوية ، وجمعها : خوالف ، ومنها قوله تعالى : ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ .

الدارية : المقيم بداره ، والتاء أيضًا للمبالغة ، وهو منسوب إلى الدار .

المتغزل : الذى يشغل نفسه بالنساء .

الغدو : والرواح : الأول من الفجر إلى الزوال ، والثانى من الزوال إلى الليل .

الداهن : الذى يدهن نفسه بالطيب .

المتكحل : من يضع الكحل فى عينيه ؛ وفى هذا البيت يتبرأ من صفات المخنثين . =

٢٠ – ولَستُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دونَ خَيرِهِ ∴ أَلَفَّ إِذا ما رُعتَهُ اهتاجَ أعزَلُ[١]

٢١ – ولَستُ بِمِحيارِ الظَّلامِ إِذا انتَحَت ∴ هُدى الهَوجَلِ العِسّيفِ يَهماءُ هَوجَلُ[٢]

٢٢ – إِذا الأَمعَزُ الصُّوّانُ لاقى مَناسِمى ∴ تَطايَرَ مِنهُ قــادِحٌ وَمُفَلَّلُ[٣]

= **غوامض الإعراب :**
" دارِيَّةٍ " : صفة مجرورة لـــ " خالِفٍ " .

(١) معانى المفردات :

العـل : صفة مشبهة كـــ السهل والفحل ، وهو المسن من كل شىء ؛ ومـــن يـــزور النساء كثيرًا ؛ والنحيف الدقيق الجسم .

دون خيره : أى شره حائل دون الخير .

الألف : صفة مشبهة كـــ الأعرج ، وهو لا يتحرك لقتال أو لكرم بل يلتف وينام .

الروع : الفزع . **اهتاج :** أسرع وقت الفزع بحمق .

الأعزل : من لا سلاح معه .

غوامض الإعراب :
" أعزلُ " : خبر لمبتدأ محذوف تقديره : وهو أعزل ، والجملة حال .

(٢) معانى المفردات :

المحيار : صيغة مبالغة من الحائر . **انتحت :** قصدت .

الهوجل : الوعر من الأرض والطويل المتسرع من الرجال .

العسيف : صيغة مبالغة كـــ الصدّيق : السائر على غير هدى .

اليهماء : الفلاة التى لا يهتدى فيها للطريق ، وهى الفاعل للفعل انتحت على التجوز ؛ والمعنى : أنه خبير مدرب على طرق الصحراء لا يضل .

(٣) معانى المفردات :

الأمعز : المكان الصلب فيه حصى .

الصوان – بزنة جبار – : الحجارة الملساء ، أى المكان ذو الحجارة على التجوز .

المناسم : جمع منسم وهو خف البعير ، وأراد بها أقدامه .

القادح : الذى يخرج الشرر .

المفلل : المكسر ؛ يريد أقدامه تشبه مناسم الإبل قوية صلبة ينقدح منها الشرر حـــين تصطدم بالحجارة لشدة سرعته .

٢٣ - أَديمُ مطالَ الجوعِ حتَّى أُميتَهُ ∴ وَأَضرِبُ عَنْهُ الذكرَ صَفحًا فَأُذهَلُ(١)

٢٤ - وَأَستَفُّ تُربَ الأَرضِ كَيلا يَرى لَهُ ∴ عَلَيَّ مِنَ الطَولِ امرُؤ مُتَطَوِّلُ(٢)

٢٥ - وَلَولا اجتِنابُ الذَامِ لَم يُلفَ مَشرَبٌ ∴ يُعَـــاشُ بِهِ إِلاّ لَدَيَّ وَمَأكَلُ(٣)

٢٦ - وَلَكِنَّ نَفسًـــا مُرَّةً لا تُقيمُ بي ∴ عَلى الضيمِ إِلاّ رَيثَما أَتَحَوَّلُ(٤)

٢٧ - وَأَطوي عَلى الخُمصِ الحَوايا كَما انطَوَت ∴ خُيوطَةُ مارِيٍّ تُغارُ وَتُفتَلُ(٥)

---

(١) **معانى المفردات :**

المطال : مصدر ماطل كـــ المماطلة ، وهى التلكؤ ومد الوقت .
أضرب عنه الذكر : أمنع تذكرى إياه . **الصفح** : الترك والإعراض .
أذهل : أنسى ؛ والمعنى : أنه قوى العزيمة ، حاكم لنفسه ، قادر أن يمنعها من الطعام

(٢) **معانى المفردات :**

أستف : أتناوله سفًا غير ملتوت .
الطول : التفضل والامتنان ، وفى هذا البيت من العزة والأنفة وشرف النفس ما يدعو للإعجاب .

(٣) **معانى المفردات :**

الذام : العيب ، ومثله الذم ، وأصله الذأم من ذأمه أى عابه فهو مذؤوم ؛ وفى القرآن الكريم : ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ .
يُلفَ - بالبناء للمجهول - : أى : لم يوجد ؛ ويروى : لم يبق .
غوامض الإعراب :
" اجتنابُ الذَأم " : مبتدأ محذوف خبره وجوبًا بعد " لَولا " الامتناعية .

(٤) **معانى المفردات :**

النفس المرة - بضم الميم - : الصعبة ، و- بكسر الميم - : القويـــة ، ويـــروى : الحرة . **الضيم** : الذل .
التحول : الانتقال ؛ والشاعر يقصد أنه لا يقبل مواقف الذل إلا مـــصانعة للأحـــداث مؤقتًا ، ثم يتحول سريعًا إلى حياة العزة والكرامة .

(٥) **معانى المفردات :**

الخمص - بضم الخاء - : ضمور البطن ؛ ورجل خمصان الحشا : ضامر البطن ، و- بالفتح - : الجوع .
=

٢٨ – وَأَغدو عَلى القوتِ الزَهيدِ كَما غَدا ∴ أَزَلُّ تَهاداهُ التَنائِفُ أَطحَلُ[١]

٢٩ – غَدا طاوِيًا يُعارِضُ الريحَ هافِيًا ∴ يَخوتُ بِأَذنابِ الشِعابِ وَيَعسلُ[٢]

٣٠ – فَلَمّا لَواهُ القوتُ مِن حَيثُ أَمَّهُ ∴ دَعا فَأَجـــابَتهُ نَظائِرُ نُحَّلُ[٣]

= **الحوايا** : جمع حوية ، وهى الأمعاء .

الخيوطة : كـ الخيوط : السلوك التى يخاط بها .   **مارى** : اسم رجل .

تغار : يحكم فتلها مارىّ ؛ قال المبرد : " يقال : مأرت الشىء إذا أصلحته ، وفى ذلك إشارة إلى أن مارى أصلها مائرى وحدث فيها قلب مكانى ، وإذا كـان هذا مراده ، فالخيوطة هى ما يربط به الحبل السرى عند الولادة .

(١) **معانى المفردات :**

الزهيد : القليل المزهود فيه .

الأزل : الذئب القليل لحم الوركين ، وفى المثل : " لا أنس للذئب الأزل الجائع " .

تهاداه التنائف : تسلمه الصحارى والمفازات بعضها إلى بعض ، والتنـائف جمـع تنوفة ؛ وإذا تعب الذئب فى البحث عن الغذاء فى الصحارى ، كان ذلك أمعن فى جوعه وهزاله وتحمله المشقات .

أطحل : لونه كلون الطحال بين الغبرة والبياض .

يصف نفسه بطلب القوت الزهيد بكد وجهد ، وجسمه كالـذئب الأزل الـضخم الصدر الخفيف العجز ، وهذا مما يحمد عند الأبطال ، بعكس النساء التـى وصـفها كعب بن زهير :

هَيفاءُ مُقبِـلَةً عَجـــزاءُ مُدبِـرَةً ∴ لا يُشتَكى قِصَـرٌ مِنها وَلا طـولُ

(٢) **معانى المفردات :**

طاويًا : جائعًا .   **هافيًا** : مسرعًا .

يجوب : يقطع الفيافى ، ويروى بدل يجوب : يخوت ، بمعنى : ينقض ويخطف .

أذناب الشعاب : أواخر الطرق .

يعسل : يمشى خببًا سريعًا ، من باب (جلس) يكمل وصف هذا الذئب الأزل بأنـه أسرع فى عدوه حتى يجد فريسة لينقض عليها ، ولكنه لم يجد .

(٣) **معانى المفردات :**

لواه : دفعه ومنعه من السير .   **أمّه** : قصده .

النظائر : الأشباه والأمثال من الذئاب .

النُّحَّل – جمع ناحل – : المهازيل ؛ أى أنه لما لم يجد القوت ، صرخ يطلـب مـن إخوانه الذئاب أن ينقذوه ، فوجدها جميعًا هزيلة لا قوت عندها .

٣١ - مُهَلَّةٌ شِـيبُ الوُجـوهِ كَأَنَّها ∴ قِداحٌ بِكَفَّي ياسِـرٍ تَتَقَلقَلُ[١]

٣٢ - أَو الخَشرَمُ المَبعوثُ حَثحَثَ دَبرَهُ ∴ مَحابيضُ أَرداهُنَّ سامٍ مُعَسِّلُ[٢]

٣٣ - مُهَرَّتَةٌ فُـوهٌ كَأَنَّ شُـدوقَها ∴ شُقوقُ العِصِي كالِحاتٌ وَبُسَّلُ[٣]

---

(١) **معانى المفردات :**
المهللة : من الهلال حين يكون دقيقًا .
الشيب – جمع أشيب – : إذا ابيض شعره .
قداح : مفردها قدح ، وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله .
الياسر : الضارب بالقداح فى القمار . **تتقلقل** : تتحرك .
يبرز الشاعر صورة للذئاب النظائر تظهرها نحيلة ذات شعر أبيض من جوعها تترنح وتضطرب اضطراب القداح فى يد الياسر .

(٢) **معانى المفردات :**
الخشرم : رئيس النحل . **المبعوث** : المنطلق فى سيره بسرعة .
حثحث : حض وحث . **دبره** – بفتح الدال – : جماعة النحل .
محابيض – جمع محبض كـ منبر – : عود يكون مع مشتار النحل يثير به كى يخرج ويبتعد عن الخلايا أثناء قطف العسل .
أرساهن : أصلحهن . **سام معسل** : مرتفع مستخرج العسل .
يشبه الذئاب الجائعة فى التفافها بمنظر النحل حين يستنفره رئيسه خوفا عليه من أعواد جامع العسل أن تقتلها .
غوامض الإعراب :
" حَثحَثَ دَبرَهُ ، مَحابيضُ " : تقدم هنا المفعول به وهو " دَبرَهُ " على الفاعل وهو " مَحابيضُ " .

(٣) **معانى المفردات :**
مهرتة : واسعة الأشداق .
فوه : جمع أفوه كـ أحمر وحمر ، والأفوه : مفتوح الفم .
الشدوق : جمع شدق ، وهو جانب الفم . **كالحات** : مكشرات فى عبوس .
بسَّل : جمع باسل بمعنى كريه الوجه ؛ يصف الذئاب الجائعة بأنها واسعة الأشداق ، تفتح أفواهها التى تشبه رأس العصا المستطيلة التى تنشق .

٣٤ – فَضَجَّ وَضَجَّت بِالبَراحِ كأنَّها ∴ وَإيّاه نوحٌ فوقَ علياءَ ثُكَّلُ[١]
٣٥ – وَأَغضى وَأَغضَت وَاتَّسى وَاتَّسَت بِهِ ∴ مَراميلُ عَزّاها وَعَزَّتهُ مُرمِلُ[٢]
٣٦ – شَكا وَشَكَت ثُمَّ ارعَوى بَعدُ وَارعَوَت ∴ وَلَلصَّبرُ إن لَم يَنفَعِ الشَكوُ أجمَلُ[٣]
٣٧ – وَفاءَ وَفاءَت بادِراتٍ وَكُلُّها ∴ عَلى نَكَظٍ مِمّا يُكاتِمُ مُجمِلُ[٤]
٣٨ – وَتَشرَبُ أسآرِي القَطا الكُدرُ بَعدَما ∴ سَرَت قَرَبًا أحناؤُها تَتَصَلصَلُ[٥]

---

(١) **معانى المفردات :**

ضج : صاح وجزع ؛ وفاعل الضجيج هو الأزل فى البيت رقم ٢٨ ؛ وضجت الذئاب النظائر فى البيت ٣٠ .

البراح : الأرض الواسعة . **نوح** : جمع بنوحاء من النواح .

العلياء : المكان المرتفع .

ثكل : جمع ثكلى ؛ ويصور حال الذئب الأزل ونظائره بأنها تصيح من الجوع كما تنوح الثكلى على وليدها .

(٢) **معانى المفردات :**

أغضى : أرخى جفونه . **اتسى** : اقتدى ؛ وتنطق اتّسى – بتشديد التاء – .

مرامل : جمع مرمل ، وهو الذى نفد زاده من أرمل إذا التصق بالرمل من الفقر ؛ أى أن هذه الذئاب لم يفدها الجزع والصياح ، فهدأت وأخذ بعضها يعزى بعضًا

(٣) **معانى المفردات :**

ارعوى : كف عن الشكوى ، وعدل عن الضجيج .

(٤) **معانى المفردات :**

فاء : رجع . **بادرات** : مسرعات ، وفى رواية : باديات أى : ظاهرات .

النكظ : العجلة مع شدة الجوع . **مجمل** : متجمل بكتمانه ألمه .

(٥) **معانى المفردات :**

الأسآر : جمع سؤر ، وهو بقية الشراب فى قاع الإناء .

القطا : طير يسرع إلى الماء .

الكدر : جمع كدرىّ ، وهو ضرب من القطا مغبر اللون مرقش الظهر أصفر الجلد .

قربًا : قاصدة الماء . **الأحناء** : جمع حنو ، وهو الجانب .

تتصلصل : تصوت ؛ ويعنى بذلك أنه يسبق القطا مع شهرتها فى السبق إلى الماء وهو يفخر بذلك .

٣٩ – هَمَمتُ وَهَمَّت وَابتَدَرنا وَأَسدَلَت ∴ وَشَمَّرَ مِنّي فارِطٌ مُتَمَهِّـلُ(١)
٤٠ – فَوَلَّيتُ عَنها وَهِيَ تَكبو لِعَقرِهِ ∴ يُباشِرُهُ مِنها ذُقونٌ وَحَوصَلُ(٢)
٤١ – كَأَنَّ وَغاها حَجرَتَيهِ وَحَولَهُ ∴ أَضاميمُ مِن سَفرِ القَبائِلِ نُزَّلُ(٣)
٤٢ – تَوافَينَ مِن شَتّى إِلَيهِ فَضَمَّها ∴ كَما ضَمَّ أَذوادَ الأَصاريمِ مَنهَلُ(٤)
٤٣ – فَعَبَّت غِشاشاً ثُمَّ مَرَّت كَأَنَّها ∴ مَعَ الصُبحِ رَكبٌ مِن أُحاظَةَ مُجفِلُ(٥)

---

(١) **معانى المفردات :**

هممت وهمت وابتدرنا : يقصد أنه هم بالسـير إلى الماء ، وهمت القطا ، وتسابقا .
أسدلت : أرخت جناحها من التعب .
شمر : نشط . **فارط** : متقدم . **متمهل** : متئد .

(٢) **معانى المفردات :**

وليت عنها : فارقتها . **تكبو** : تتساقط من الضعف .
وهو بهذا يصور سبقه للقطا وسرعته فى العدو ، حيث ترك القطا عنـد مكـان السقى على الحوض متساقطة متهالكة تشرب من فضلاته .

(٣) **معانى المفردات :**

الوغى : الصوت .
حجرتيه : جانبيه منصوب بنزع الخافض ، أى : فى حجرتيه .
أضاميم – جمع إضمامة – : القوم ينضم بعضهم إلى بعض .
سفر القبائل : المسافرون منهم يحدث لهم جلبة ؛ أى أن القطا أحدثت جلبة كأصوات المسافرين حين لم يجدوا إلا البقايا .

(٤) **معانى المفردات :**

توافين : حضرن كأنهن موفيات بالوعد . **شتى** : طرق مختلفة .
ضمها : جمعها . **أذواد** : جمع ذود ، وهو من الإبل من ثلاث إلى عشر .
الأصاريم – جمع أصرام وهو جمع صرم – : وهو من الإبل قرابة الثلاثين .
منهل : مورد ؛ أى جاءت القطا إلى الحوض متفرقة ، فتجمعت حوله ، فضمها إليه كما يضم المنهل جماعاتها .

(٥) **معانى المفردات :**

عبّت : شربت من غير مص .
=

٤٤ - وآلَفَ وَجهَ الأرضِ عندَ افتراشِها ∴ بأهدأَ تُنبيهِ سَناسِنُ قُحَّـلُ[(١)]

٤٥ - وأعدلُ مَنحوضًا كأنَّ فُصوصَهُ ∴ كِعابٌ دَحاها لاعبٌ فهي مُثَّلُ[(٢)]

٤٦ - فإن تَبتَئِس بالشَّنفَرى أُمُّ قَسطَلٍ ∴ لَما اغتَبَطَت بالشَّنفَرى قبلُ أطولُ[(٣)]

٤٧ - طَرِيدُ جِناياتٍ تَياسَرنَ لَحمَهُ ∴ عَقِـيرَتُهُ لأيِّـها حُمَّ أوَّلُ[(٤)]

٤٨ - تَنامُ إذا ما نامَ يَقظى عُيونُها ∴ حِثاثًا إلى مكروهه تَتَغلغَلُ[(٥)]

٤٩ - وإلفُ هُمُـومٍ ما تَزالُ تَعودُهُ ∴ عِيادًا كَحُمّى الرِّبعِ أو هي أثقَلُ[(٦)]

= **غشاشًا** : قليلاً على عجل . **أحاظة** : قبيلة يمنية .
مجفل : مسرع ؛ أي أن أسراب القطا شربت قليلاً لكثرتها وقلة الماء الباقي منه .

(١) **معاني المفردات** :
آلف : أرتاح . **الأهدأ** : الشديد الثبات ، وهو جنبه أو منكبه .
تنبيه : تبعده . **السناسن** : حروف فقار الظهر .
قحل : جمع قاحل أي : يابس ؛ أي ينام على الحصا تبعد جنبه أطراف فقرات ظهره

(٢) **معاني المفردات** :
أعدل منحوضًا : أتوسد تحت رأسي ذراعًا ذهب لحمها .
فصوصه : فواصل عظامه . **كعاب** : ما يلعب بها .
دحاها : بسطها . **مثل** : جمع ماثلة أي : منتصبة .

(٣) **معاني المفردات** :
تبتئس : تحزن . **أم قسطل** : الحرب ، لأنها تثير القسطل وهو الغبار .

(٤) **معاني المفردات** :
طريد : مطرود مشرد . **تياسرن** : تقاسمن . **العقيرة** : الجثة . **حم** : قدر .

(٥) **معاني المفردات** :
عيونها : جواسيسها . **حثاثًا** : مسرعة . **تتغلغل** : تتوغل .

(٦) **معاني المفردات** :
ألف هموم : مؤالف وملازم لها . **تعوده** : تزوره بانتظام .
حمى الربع : التي تأتي يومًا ثم تغيب يومين وتعود في الرابـع ؛ يـصف همومـه وأحزانه بأنها أثقل من الحمى وأشق .

٥٠ – إذا وَرَدت أَصدَرتُها ثُمَّ إنَّها ∴ تَثوبُ فتأتي من تُحَيتُ ومن عَلُ(١)

٥١ – فإمّا تَرَيني كابنَةِ الرَملِ ضاحيًا ∴ على رِقَّةٍ أحفى ولا أتنعَّلُ(٢)

٥٢ – فإنّي لَمَولى الصَبرِ أجتابُ بَزَّهُ ∴ على مِثلِ قَلبِ السِمعِ والحَزمَ أَفعَلُ(٣)

٥٣ – وأعدمُ أحيانًا وأَغـنى وإنَّما ∴ يَنالُ الغِنى ذو البُعدَةِ المُتَبَذِّلُ(٤)

٥٤ – فَلا جَـزِعٌ مِن خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ ∴ ولا مَرِحٌ تَحتَ الغِنى أتَخَيَّلُ(٥)

---

(١) **معانى المفردات :**

الورد : ضد الصدر ، أى النزول إلى البئر والصعود منها ؛ أى أنه فى حرب دائمة مع همومه تهب عليه من كل جانب .

(٢) **معانى المفردات :**

ابنة الرمل : الحية . **ضاحيًا** : بارزًا . **رقة** : أي رقة حال .

(٣) **معانى المفردات :**

مولى الصبر : أنا القائم عليه . **أجتاب** : أقطع . **بزه** : ثوبه .

السمع – بكسر السين – : ولد الذئب من الضبع ، وهو فى عدوه أسرع من الطير ، ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعًا .

(٤) **معانى المفردات :**

أعدم : يصيبنى العدم ، أى : الفقر .

البغية – بكسر الباء – : الحاجة التى تبغيها ، وضمها لغة – وقيل بالكسر – : اسم الهيئة ، و– بالضم – : الحاجة .

المتبذل : الذى لا يصون نفسه عن السفاسف ؛ يريد أن الغنى والفقر عرضان يتعاورانه ، وأن الغنى لا ينال إلا بطلبه والحرص عليه والتبذل فى جمعه .

(٥) **معانى المفردات :**

الجزع : ضد الصبر . **الخلة** : الحاجة والفقر .

المتكشف : الذى يظهر فقره ويشتكى منه للناس . **المرح** : شديد الفرح .

غب : قليل ، ومنه : " زر غبًا تزدد حبًا " ، ويروى بدل غب : تحت .

أتخيل : أختال وأتكبر ؛ يعنى أنه فوق الحوادث ، وهو أقوى من أن يهتز للفقر أو ينتشى للغنى .

٥٥ – وَلا تَزدَهى الأَجهالُ حِلمى وَلا أُرى ∴ سؤولاً بأعقابِ الأَقاويلِ أَنمُلُ[١]

٥٦ – رَلَيلَةِ نَحسٍ يَصطَلى القَوسَ رَبُّها ∴ وَأَقطُعَهُ اللاتى بها يَتَنَبَّلُ[٢]

٥٧ – دَعَستُ عَلى غَطشٍ وَبَغشٍ وَصُحبَتى ∴ سُعارٌ وَإِرزيزٌ وَوَجرٌ وَأَفكُلُ[٣]

٥٨ – فَأَيَّمتُ نِسوانًا وَأَيتَمتُ إِلدَةً ∴ وَعُدتُ كَما أَبدَأتُ وَاللَيلُ أَليَلُ[٤]

٥٩ – وَأَصبَحَ عَنى بِالغُمَيصاءِ جالِسًا ∴ فَريقانِ مَسؤولٌ وَآخَرُ يَسأَلُ[٥]

---

(١) **معانى المفردات :**

تزدهى : تستخف . **الأجهال** : جمع لـ جهل شذوذًا ، والقياس : أجهُل .
حلمى : عقلى . **أعقاب** : أواخر .
ينمل : مضارع نمل من باب (قتل) بمعنى : نم ونقل الحديث ؛ ويقال منه : فلان نملة – بسكون الميم وكسرها – إذا كان نمامًا ؛ والشاعر هنا يتحدث عن فضيلة الاتزان والترفع عن النميمة والإفساد .

(٢) **معانى المفردات :**

ليلة نحس : ليلة باردة .
يصطلى : يقاسي حر النار وشدتها ، وإذا اصطلى العربى قوسه فليس وراء ذلك فى الشدة شيء
الأقطع – كـ الأفلس – : جمع قطع – بكسر القاف – ، وهو النصل الصغير العريض . **المنبل** : الذى يختار النبال الصالحة للرمى .

(٣) **معانى المفردات :**

دعست : وطئت وطعنت . **البغش** : المطر الخفيف .
الغطش : الظلمة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ .
سعار : حرارة الجوف تنشأ من شدة الجوع .
أرزيز : برد يجمد الإنسان . **وجر** : خوف . **أفكل** : رعدة .

(٤) **معانى المفردات :**

أيمت : جعلتها أيمًا بقتل زوجها .
الدة : الأولاد ، وأصلها ولدة فأبدلت الواو همزة لوقوعها أول الكلام مكسورة جوازًا للتخفيف . **أبدأت** : ابتدأت . **أليل** : ثابت الظلمة .

(٥) **معانى المفردات :**

الغميصاء : موضع بنجد ، أى أنه بعد الهجمة الخاطفة يترك الناس منقسمين إلى سائل ومسئول من الدهشة والعجب مما فعل .

٦٠ – فَقالوا لَقَد هَــرَّت بِلَيلٍ كِلابُنا ∴ فَقُلنا أَذِئبٌ عَسَّ أَم عَسَّ فُرعُلُ(١)

٦١ – فَلَم تَكُ إِلاّ نَبــأَةً ثُمَّ هَوَّمَــت ∴ فَقُلنا قَطاةٌ ريعَ أَم ريعَ أَجدَلُ(٢)

٦٢ – فَإِن يَكُ مِن جِنٍّ لأَبرَحُ طارِقًا ∴ وَإِن يَكُ أِنسًا ماكَها الأِنسُ تَفعَلُ(٣)

٦٣ – وَيَومٍ مِنَ الشِعرى يَذوبُ لَوابُهُ ∴ أَفاعيهِ في رَمضائِهِ تَتَمَلمَلُ(٤)

٦٤ – نَصَبتُ لَهُ وَجهي وَلا كِنَّ دونَهُ ∴ وَلا سِترَ إِلاّ الأَتحَمِيُّ المُرَعبَلُ(٥)

---

(١) **معانى المفردات :**

هرير الكلب : صوته دون النباح من شدة البرد .

عس : طاف بالليل . **فرعل** : ولد الضبع .

(٢) **معانى المفردات :**

نبأة : صوت . **هومت** : نامت الكلاب بعد النباح .

ريع : أفزع وروع . **أجدل** : صقر .

غوامض الإعراب :

" قَطاةٌ ريعَ " : الأصل أن يقول : ريعت ، حيث الفاعل ضمير يعود على مؤنث .

(٣) **معانى المفردات :**

ما كها : رويت : ما كذا ؛ والجملة جواب الشرط ، وحذفت الفاء شذوذًا .

غوامض الإعراب :

" لأَبَرحُ " : اللام للقسم ، وهى متصلة بالفعل ، وكان حقها أن توجب اقتـران الفعل بنون التوكيد ، ولكنه تركها لتقدير الفصل ، فكأنه قال : لسوف أبرح .

(٤) **معانى المفردات :**

الشعرى : كوكب يطلع بعد الجوزاء فى الحر الشديد .

اللواب – كـ اللعاب – : وهو ما يرى من شدة الحر – تخيلاً – مثل نسج العنكبوت

الرمضاء : الرمل الشديدة الحر . **التململ** : التحرك على الفراش من الأوجاع .

(٥) **معانى المفردات :**

نصبت : أقمت وعرضت . **الكن** : الساتر ، وجمعه أكنان .

الأتحمى : ضرب من البرود . **المرعبل** : الممزق .

ومعنى ذلك أنه يتحمل شدة القيظ بلا شىء يحميه .

٦٥ - وَضافٍ إذا هَبَّت لَهُ الريحُ طَيَّرَت ∴ لَبائِدَ عَن أَعطافِهِ ما تَرَجَّلُ(١)
٦٦ - بَعيدٌ بِمَسِّ الدُهنِ وَالفَلى عَهدُهُ ∴ لَهُ عَبَسٌ عافٍ مِنَ الغِسلِ مُحوِلُ(٢)
٦٧ - وَخَرقٍ كَظَهرِ التُرسِ قَفرٍ قَطَعتُهُ ∴ بِعامِلَتَينِ ظَهرُهُ لَيسَ يُعمَلُ(٣)
٦٨ - فَأَلحَقتُ أُولاهُ بِأُخــراهُ موفِيًا ∴ عَلى قُنَّةٍ أُقعي مِرارًا وَأَمثُلُ(٤)
٦٩ - تَرودُ الأَراوِي الصُحمُ حَولي كَأَنَّها ∴ عَذارى عَلَيهِنَّ المُلاءُ المُذَيَّلُ(٥)

---

(١) **معانى المفردات :**

ضاف : سابغ ، والمراد الشعر . **اللبائد** : الشعر المتراكم بين الكتفين .
الأعطاف : الجوانب . **ترجل** : تسرح وتمشط .

(٢) **معانى المفردات :**

الفلى : التنقية من الأوساخ والهوام .
العبس : ما يتعلق بإلية الشاة وذنبها من البول والبعر فيجف عليها .
عاف : كثير . **الغسل** – بكسر الغين – : ما يغسل به .
محول : مر عليه حول لم يغسل .
غوامض الإعراب :
" عَهدُهُ " : فاعل للصفة المشبهة " بَعيدٌ " .

(٣) **معانى المفردات :**

الخرق : الأرض الواسعة فتخرقها الرياح .
الترس – بضم التاء – : ما يتترس به . **قفر** : ليس بها أحد .
بعاملتين : برجلين . **ليس يعمل** : غير مسلوك .

(٤) **معانى المفردات :**

موفيًا : مشرفًا . **قنة** : أعلى الجبل .
أقعى : أقعد على الركبتين وباطن الفخذين ، كعقدة الكلب . **أمثل** : أنتصب وأقف .

(٥) **معانى المفردات :**

ترود : تذهب وتجيء . **الأراوى** : جمع أروية ، وهى أنثى الوعول البرية .
الصحم : السود المائلة إلى الصفرة .
العذارى : الأبكار . **الملاء** : نوع من الثياب .
المذيل : طويل الذيل ؛ أى أن هذه الأراوى قد أنست به لا تنفر منه بل تحوطه كالعذارى

٧٠ - وَيَركُدنَ بالآصالِ حَولِي كأنَّنى .·. مِنَ العُصم أدفى يَنتَحى الكَيحَ أعقَلُ[١]

من أوجه البلاغة فيها

القصيدة لا يكاد يخلو بيت منها من لون بلاغى رائع ، وحسبنا أن نشير إلى بعض هذه الألوان مثلاً يحتذى فى استخراج الباقى لوضوحه .

ففى قوله : " أقيموا صُدورَ مَطيِّكُم " كناية عن الرحيل ، فإن من يقيم بالمكان ينيخ راحلته ، فإذا عزم السفر أنهضها وساعدها برفع صدرها إلى أعلى .

وفى قوله : " واللَيلُ مُقمِرٌ " استعارة تمثيلية ، حيث شبه الغموض الذى أحاط به عن نسبه وأصله وانكشاف الحقيقة له بعد غيابها عنه وقتلهم للرجل الذى زوجه ابنته وضرورة الثأر له ، بالليل الذى طلع قمره بعد طول ظلام فأبدى ما كان خافيًا .

وفى قوله : " سيدٌ عَمَلَّسٌ ، وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ " استعارات ، حيث لا يقصد حقيقة هذه الحيوانات ، ولكنه يشبه زملاءه الصعاليك بها .

وفى قوله : " مَن لَيسَ جازِيًا ، بِحُسنى " كناية عن الرجل الشجاع الذى يجزى بالسيئة أسوأ منها حسب أعرافهم .

وفى قوله : " إذا زلَّ عَنها السَهمُ حَنَّت " استعارة بالكناية ، حيث

---

(١) **معانى المفردات :**

يركدن : يثبتن . **الآصال** : جمع أصيل ، وهو ما بين العصر والمغرب .

العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل فى ذراعه بياض .

الأذفى : الطويل القرن . **الكيح** : عرض الجبل . **الأعقل** : الممتنع فى الجبل .

شبه القوس بالمرأة الثكلى ورمز إليها بالأنين .

وفى قوله : " كَأَنَّ فُؤادَهُ ، يَظَلُّ بِهِ المُكَّاءُ يَعلو وَيَسفلُ " تشبيه رائع وكذلك قوله : " كَما انطَوَت ، خُيوطَـةُ مارِى تُغارُ وَتُفتَلُ " .

وفى قوله : " إِذا الأَمَعزُ الصُوّانُ لاقى مَناسِمى ، تَطايَرَ مِنهُ قـادِحٌ وَمُفَلَّلُ " مبالغة طريفة ، حيث العقل يستبعد أن تصل قدمه إلـى هـذا المستوى الذى يقدح به الشرر مع الحجارة .

وفى قوله : " أُديمُ مِطالَ الجوعِ حَتّى أُميتَهُ " صورة بلاغية تجعـل من الجوع إنساناً يطالب فيماطله حتى يسكت أو يموت .

وفى قوله : " تَهاداهُ التَنائِفُ " اسـتعارة بالكنايـة ، حيـث شـبه المفازات بأناس يتقاذفونه ويتهادونه ، وحذف المشبه به ورمـز إليـه بشىء من لوازمه وهو : التهادى .

وفى قوله : " كَأَنَّ شُدوقَها ، شُقوقُ العِصِى " تشبيه دقيق لفم الذئب المستطيل الذى يشبه العصا وهو مغلق ، ثم ينفتح عن فم أفوه كالعـصا حين تنشق .

وفى وصفه للحر وللبرد ولأوضاعه الصعبة المحزنـة المبكيـة ؛ ولمغامراته وبطولته وفتكه بالعدو من الصـور ما يضيق المقـام عـن ذكره ، وهى لا تخفى على القارئ المتأمل .

استنباطات

يصف الشاعر نفسه بكثير من الفضائل مثل : الـصبر ، وتحمـل الشدائد ، وإباء الضيم ، والوفاء ، والعفة ، ومعاملة الإخوة بالإحـسان

والتفضل ، والتزام آداب الطعام ، والقناعة بالقليل ، والمهارة فى العدْو والقنص ، والشجاعة فى الانقـضاض دون خـوف ، والتعـود علـى الخشونة ، وقوة الشخصية ، والرجولة التى تجعله لا يدّهن ولا يتكحـل ولا يخنث ، والكرم الذى يبذله لضيفه ، وبعده عن النميمة ، وحلمـه ، واتزانه ، وخبرته بطرق الصحراء .

ومن خلال وصفه لنفسه بهذه المكارم والفضائل ، يشير إلى صفات مرذولة ينفيها عن نفسه ، ويصم بها أعداءه ، كـ : الجبن ، والفـرار من المسئولية ، والتخنث ، والرضـا بالذل ، ومشاورة النساء فى كـل أمر ، والتبذل سعيًا وراء المال ، والجشع عند تناول الطعام .

وفى القصيدة كذلك بعض مغامراته فى الحر وفى البرد ، وسـباقه مع القطا على الماء ، وجلوسه مع الأراوى الصحم ، وإقدامه على القتل الذى أيم به نساء وأيتم به أولادًا ، واحترافه الجريمة انتقامًا مـن هـذا المجتمع القاسى الذى تخلخلت فيه القيم .

وفيها أيضًا حديث عن الإحساس النفسى بالضياع والجوع والتشرد ، والترقب لما يدبره له أعداؤه بعد أن فعل بهم الأفاعيل ، والشكوى مـن النحافة والبؤس وإن جاء فى صيغة الفخر بذلك .

ألا ترى معى أيها القارئ أن أمتنا قد نالها شرف المبادئ الـسامية التى ينشأ فيها النسل سويًا راشدًا ؟! ثم ألا ترى أن شبابنا يحتاج إلـى مران ودربة على الصبر والتحمل والبعد عن مظاهر الترف والترهل ؟!

النص الثامن

وحتى نصل الماضى بالحاضر ، نسوق نصًا محدثًا لعالم كان يعمل وكيلاً لمحكمة طنطا الأهلية سنة ١٣٣٠هـ ، ومع مهمته القضائية كان اهتمامه الشديد بدراسة العربية والدفاع عنها ، ذلكم هو " **حفنى بك ناصف** " الذى قدم هذا البحث – المكون من تسعة مطالب – فى مميزات لغات العرب إلى مؤتمر المستشرقين فى ديانا سنة ١٨٨٦م .

وقد أخذت من هذه المطالب " المطلب التاسع " لما فيه من الفوائد اللغوية التى يحتاج إليها كل طالب أزهرى ، تذكره بما درس ، وتحيى فى ذهنه ما اندرس :

" المترادف "

كثيرًا ما يجد الناظر فى كتب متن اللغة طوائف من الألفاظ تترادف كل طائفة منها على معنى واحد كـ الأسد والليث والهزبر والغضنفر والرئبال والضيغم ، وكـ الخمر والراح والقرقف ، وكـ السيف والحسام والعضب والصارم والقضيب والصمصامة والمنصل والمشرفى ، وكـ العسل والضرْب والذوب والشوب والوديس والأرْى والطرم والشهد ؛ ولكن إذا أمعن نظره يتبين له أن لا ترادف فى الحقيقة ، لأن العرب شعوب وقبائل ، ولكل شعب ألفاظ محصورة وضعها واضعهم ليتقاضوا بها أغراضهم ، ولا ضرورة فى تقاضى الأغراض إلى وضع أزيد من لفظ واحد لكل معنى ، فالذين يسمون

السبع أسدًا لا يسمونه ليثًا ، والذين يقولون مدية لا يقولون سكينًا ، إذ لا تمس الحاجة إلى ذلك ، فالحق أن الترادف فى اللغات ليس طبيعيًا ، ولا وجود له متى وجهنا النظر إلى كل قبيلة على حدتها ، وإنما هو أمر يحدث عند النظر إلى كافة القبائل وعموم الشعوب .

وحدوث الترادف فى اللغة العربية كان على وجهين :

الوجه الأول :

أن قبائل العرب كانوا يجتمعون كل عام فى مواسم عامة كسوق عكاظ ، وذى المجاز ، ومجنة ويتناشدون الأشعار ، ويتساءلون الأخبار فكان يسمع كل واحد منهم لغات الآخرين ، ويستعمل منها ما شاء ، فضلاً عن اجتماعهم فى مواقف الحروب ، وتلاقيهم فى الأسفار ، فكانت تتجدد لهم كلمات كثيرة ، وتنتشر على ألسنة الشعراء والخطباء منهم .

الوجه الثانى :

أن العلماء فى الصدر الأول لما رأوا اختلاط العجم بالعرب ، وخافوا على اللغة أن يفسد أمرها ، جمعوها وضبطوها لتكون لغة متميزة عن لغات العجم ، لا يخشى عليها اشتباه أو انقراض ، ولما كان نقل لغة كل حى على حدتها موجبًا للتكرار وطول العمل ، نقلوها مجملة فما كان متفقًا عليه بين جميع الأحياء ذكروه على وجهه ، وما كانوا مفترقين فيه عددوا أوجه الخلاف – بلا نسبة لقائليه فى الأكثر ومع النسبة فى الأقل – .

فتراهم يقولون أن فى لفظ (حيث) تسع لغات : بناءها على الضم أو الفتح أو الكسر ، وعلى كل فالحرف الثانى إما ياء أو واو أو ألف .

ويقولون فى المنادى المضاف للياء ست لغات ، يجوز أن تقول : يا ربى بالسكون ، ويا ربى بالفتح ، ويا رب بحذف الياء وكسر الباء ، ويا رب بالحذف والفتح ، ويا رب بالحذف والضم .

ويذكرون للمعنى الواحد لفظين أو ثلاثًا أو أكثر إلى مائة وألف ، ويسمونها **مترادفة** عليه .

وللفظ الواحد معنيين أو ثلاثًا أو أكثر إلى سبعين أو فوقها ، ويسمونها **مشتركة** فيه .

ولو حققت الأمر لوجدت اللغات التسع التى فى (حيث) موزعة على تسع قبائل ، والأوجه الست فى نحو (يا رب) مجتمعة من ستة أحياء ، وهلم جرا .

لا يريد العلماء بما فعلوه إلا حصر اللغة وضبط الأوجه التى يجوز لمن يريد التكلم بها اتباعها ، بحيث يعد مصيبًا متى جرى فى منهج من تلك المناهج المأثورة ، ومخطئًا متى خرج عنها ، ولم يكن من غرضهم تمييز اللغات بعضها من بعض ، وضبط نحلة كل قوم على حدتها ، كما هو غرضنا الآن ، لأن مقصدنا هذا وإن كان مهمًا بالنسبة للتاريخ وأصلاً من أصوله الضرورية ، لكنه يعد ثانويًا بالنسبة لما قصدوه من ضبط انتشار اللغة ، ولم شعثها ، وجمع متفرقها ، واستمرار وجود جملتها سالمة من الخلل بريئة من العلل ، ومن هذا الوجه الثانى جاء أكثر ما نجده من المترادف .

يروى أن أعرابية ممن لم تفسد لغة قومها بالاختلاط يقال لهـا " أم الهيثم " نزلت العراق وعلماؤه يومئذ مشمرون فى إثبات اللغة وضبطها والتنازع محتدم بين الكوفيين والبصـريين ، فقال جماعة من العلماء : " لنذهب إلى هذه الأعرابية ونسأل منها عما شجر بيننا " ، فذهبوا إليها ، فقيل : إنها عليلة ، فلما دخلوا عليها قال لها أبو عبيدة : " عـم كانـت علتك ؟ " ، فقالت : " كنت وَحْمى للدكَكة فشهدت مأدُبة فأكلت جبجبـة من صفيف هِلّعة فاعترتنى زِلّخة " ، فقلنا لها : " يا أم الهيثم ، أى شىء تقولين ؟ " ، فقالت : " أو للناس كلامان ! ما كلمتكم إلا الكلام العربـى الفصيح ، **الدككة** : الدسم ، **والمأدبة** : طعام يصنع لدعوة أو عـرس ، **والجبجبة** : الكرش يجعل فيه اللحم المقطع أو الشحم يذاب ويجعل فـى كرش ، **والصفيف** : ما صف على الجمر ليشوى ، **والهلعة** : الأنثـى من أولاد الماعز ، **والزلخة** : وجع يأخذ فى الظهر لا يتحرك الإنسـان من شدته " .

فوائد المترادف

وقد ترتب على حدوث المترادف فى اللغة عدة فوائد لم تكن قبـل تأصله فيها :

منها : إمكان تفسير ما لم يفهم ، وهو المعروف عنـد متـأخرى المناطقة بالتعريف اللفظى ، كأن تقول : البُرّ هو القمح ، والعسجد هـو الذهب ، واللُّجَيْن هو الفضة ؛ ولولا ذلك لما تـأتى تفـسير القـرآن

الشريف ، ولا شرح الأحاديث ، ولا حل أشعار العـرب ، ولا كـشف الغطاء عن مأثور الفصحاء ، ولا ضبط مواد اللغة بوجه تام .

ومنها : التقلب فى أساليب الإنشاء ، وإبراز المعنى الواحد فى عدة صور حسب مناسبات المقام ، ولولا ذلك لما أمكن إنـشاء الـشعر ولا السجع ، فإن الشعر لم يخرج عن كونه عبارة عادية تبدل فيها الألفـاظ التى توافق الوزن والقافية بألفاظ توافقهما .

ومنها : ستر العيوب اللسانية ، فيمكن لمن لا يحسن النطق بالراء مثلاً أن يتنحى الكلمات التى فيها الراء ويبدلها بمرادفاتها ، كمـا كـان يفعل **واصل بن عطاء** رأس المعتزلة كان يلثغ الراء ، ولكن لـم تكـد تعرف لثغته إلا صغيرًا لإبداله كل لفظ فيه راء برديفـه ، واتفـق أن بعض الناس أراد تعجيزه فدفع إليه ورقة ليقرأها له مكتوبًا فيها : " أمر أمير الأمراء أن تُحْفَر بئر فى الصحراء ليشرب منها الشارد والوارد " ، فقرأ فى الحال : " حكم حاكم الحكام أن تبحث عين فى البادية ليـستقى منها الحادى والبادى " ، فعُلِم أن يمَّه لا يُعبر وغورَه لا يُسبر .

ومنها : الإغراب فى المقال والتبريز فى النزال على أهل الجدال ، كما حكى عن **مجد الدين الشيزارى** صاحب القاموس ، أن علماء الروم أول ما قابلوه امتحنوه بالسـؤال عن قـول " علىّ " كرم الله وجهه لكاتبه : " أَلْصِقْ روانفك بالجُبوب ، وخذ المِزْبر بشناترك ، واجعل حنـدُورتَيْك إلى قَيْهَلِى حتى لا أنغِى نَغْيَة إلا أودَعْتَها حُماطة جُلْجلانِك " ، فقال على الفور معناه : " أَلْزِق عضرَتك بالصِّلة ، وخذ المِـصْطر بأباخِـسِك ، واجعل جُمْجُمَتيك إلى أُثْعبانى حتى لا أنْبِس نَبْسة إلا وعَيْتَها فى لمُظَـة

رباطك " ، فعجب الحاضرون من سرعة الجواب بما هو أغـــرب مـــن السؤال ، والمعنى : " ألق مقعدتك بالأرض ، وخذ القلـــم بأصـــابعك ، واجعل عينيك إلى وجهى حتى لا أتكلم كلمة إلا حفظتها فى حبة قلبك " ، وفى **الجمهرة** قال **أبو زيد** : " قلت لأعرابى : ما المُحْبَنْطِـــئ ؟ قـــال : المُتَكَأْكِئ ، قلت : ما المتكأكئ ؟ قال : المُتَأَزِّف ، قلت : ما المتأزف ؟ قال : أنت أحمق " ، ومعنى الجميع : القصير المتدانى .

ومنها : ستر المراد من غير المخاطب من الحاضرين ، فيقوم ذلك مقام لغة أجنبية .

وعلماء اللغة من كل هذه الفوائد ، لم يعتنوا بالمترادف كما اعتنوا بغيره ، وقد رأيت لـــ " المرجانى " فيه تأليفًا لا يتجاوز الكراسة ، وأنت تعلم أن هذا لا يبل غلة الصادى ، وقد وضع **صاحب القاموس** رســـالة فى أسماء العسل خاصة سماها : " ترقيق الأسل لتصفيق العسل " ذكـــر أن له ثمانين اسمًا ، وما أحلى صنيعه ولو أنه عام ؛ وكتابًا آخر سماه : " الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف " .

وإلى هذا تشتد حاجة الطالبين ، وفيه الكفاية للراغبين ، غير أنـــا مازلنا نسمع به ولا ندرى متى نراه ، فإن لم نعثر به بعد تمام التفتـــيش والبحث فى الخزائن الشهيرة ، وضعنا كتابًا فى ذلك المعنى يشتمل على كل ما ذكر فى لسان العرب والقاموس وشروحه من المتـــرادف علـــى وجه لا تشذ معه كلمة واحدة ، وقد عقدت العزم على ذلك مع جماعـــة من أولى الأدب العاشقين للغة العرب ، فنسأل الله التوفيق لهذا العمـــل الدقيق ؛ وكتاب " المرجانى " الذى رأيته لم يعز فيه كل لفـــظ لأهلـــه ،

وما أظن " المجد " إلا ناهجًا منهج " المرجانى " .

ولنذكر الآن بعض مسائل من هذا الباب نجعلها نموذجًا لمن يريد أن يشترك معنا فى هذا القصد الجليل :

المسألة الأولى :

روى " ابن جنى " أن أعرابيًا دخل على ملك من ملوك حمير وأطال الوقوف بين يديه ، فقال له الملك : " ثِبْ " أى : اجلس بلغة الحمير ، فوثب الأعرابى وكان على مكان عال فتكسر ، فسأل الملك عن ذلك فأخبر بلغة العرب ، فقال : " من دخل ظفارِ حمَّر " أى : فليتكلم بلغة حمير .

المسألة الثانية :

روى أن أبا هريرة ﷺ لما قدم من " دوس " عام خيبر لقى النبى ﷺ وقد وقعت من يده السكين ، فقال له : " **ناولنى السكين** " فالتفت أبو هريرة ﷺ يمنة ويسرة ولم يفهم المراد بهذا اللفظ ، فكرر له القول ثانية وثالثة ، وهو يفعل كذلك ، ثم قال : " آلمدية تريد " وأشار إليها ، فقيل له : " نعم " ، " أوتسمى عندكم سكينًا ؟ " ، ثم قال : " والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ " ، وعلى هذا يكون القائل :

تركت ضأنى تود الذئب راعيها ∴ وأنها لا ترانى آخر الأبد
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة ∴ وكل يوم ترانى مدية بيدى

إما دوسيًا أو متكلمًا بلغة دوس قوم أبى هريرة وهم بطن من الأزد[1] .

---

(١) الأزد ثمانية بطون : غسان ، وخزاعة ، وبارق ، والأوس ، والخزرج ، ودوس ، وعتيك ، وغافق .

المسألة الثالثة :

ذكر المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾[1] أن الفاتح فى لغة اليمن : القاضى .

المسألة الرابعة :

كان ﷺ يخاطب كل قوم بلغتهم ، فكتب فى صدر كتاب لـ " وائل بن حجر " أحد ملوك حمير : " إلى الأقْيالِ العياهِلة والأرْواع المشابيب " .

القيل فى لغة اليمن : الذى يقول ما يشاء فينفذ ، أو هو دون الملك الأعلى فيكون كالوزير فى الإسلام كما فى فقه اللغة ، ومثله (بهمن) عند الفرس ؛ **والعياهلة** : هم الذين استقر ملكهم ؛ **والأرواع** : السادات ؛ والمشابيب : الأذكياء .

المسألة الخامسة :

من كتابه ﷺ لـ **وائل بن حجر** : " فى التَّيْعة شاة لا مقوَّرة الألياط ولا ضِنَاك ، وأنْطُوا الثبَجَة ، وفى السُّيوب الخُمس ، ومن زنى مم بكر فاصقَعُوه مائة واستوفضوه عامًا ، ومن زنى مم ثيب فضرِّجوه بالأضاميم ، ولا توصيم فى الدين ، ولا غمة فى فرائض الله ، وكل مسكر حرام ، ووائل بن حجر يترفل على الأقيال " .

التيعة : أربعون شاة ، **ومقورة الأليـاط** : مسترخية الجلود ،

(١) سورة الأعراف – الآية ٨٩ .

الضناك : الممتلئة لحمًا ، **وأنطــوا الثبجــة** : أعطــوا المتوســطة ، **السيوب** : الركاز ، **ومم** : لغة فى مــن ، **والــصقع** – بالقــاف – : الضرب ، **والاستيفاض** : النفى ، **والتــضريج بالأضــاميم** : الرمــى الحجارة ، **والتوصيم** : المحاباة ، **والغمة** : الستر ، **والترفل** : الترأس .

المسألة السادسة :

كتب ﷺ لنهد إحدى قبائل اليمن : " اللهم بارك لهم فــى مَحْــضها ومَخْضِها ومَذْقها ، وابعث راعيَها فى الدُّثُر ، وافجُر لهم الثَّمدَ ، وبارك لهم فى المال والولد ، من أقام الصلاة كان مسلمًا ، ومن آتى الزكاة كان محسنًا ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصًا ، لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ، ووضائعُ الملك ، لا تلطُط فى الزكاة ، ولا تلحُد فى الحيــاة ، ولا تثاقل عن الصلاة ، وكتب لكم فى الوظيفة الفريضة ، ولكم العارض والفَريش وذو العِنان الرَّكوب والفلو الضبيس لا يُمْنعُ سرْحُكم ولا يُعْضَد طلحُكم ولا يُحْبس درُّكم ما لم تُضمِروا الرِماق وتأكلوا الرباق ، من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ، ومن أبى فعليه الربوة " .

المحض : اللبن الذى لم يشب بغيره ، **والمخض** : ما أخذ زبــده ، **والمذق** : ما خلط بماء ، **والراعى** : المالك ، **والــدثر** : الخــصــب ، **والثمد** : الماء القليل ، **وودائع الشــرك** : دفين الجاهليــة ، **ووضــائع الملك** : ما يؤدى على الأملاك من الصدقة والزكاة ، **والإلطاط** : المنع ، **والإلحاد** : الميل عن الحــق ، **والفريــضة** : الهرمــة ، **والعــارض** : المريض ، **والفريش** : حديثة العهد بالنتاج ، **وذو العنــان** : الركــوب

الذى استحق أن يلجم ويركب ، **والفلو** : المهر الصغير ، **والضبيس** : الذى لم يذلل ، **والسرح** : الماشية ، **والطلح** : شجر طيب الرائحة ؛ والمراد **بالدر** : الماشية ، **والرماق** : النفاق ، **وأكل الرباق** : عبارة عن نقض المواثيق ، **والربوة** : الزيادة عن المفروض .

المسألة السابعة :

وكتب ﷺ إلى همدان إحدى قبائل اليمن أيضًا : " بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من محمد رسول الله لأهل محلاف خارف ويام ، وأهل خِباب الضَّب وحِقاف الرمل من هَمَدان مع وافد هاذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على أن لهم فِراعها ووِهاطها ومِزازها ، يأكلون علافها ، ويرعون عفاءها ، لنا من دفنهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحورى ، وعليهم فيها الصالغ والقارح " .

الفراع : ربوات الأرض ، **والوهاط** : مطمئناتها ، **والعزاز** – بالفتح – : ما خشن منها ، **والعلاف** : جمع علف ، **والعفاء** : ما لا ملك فيه لأحد ؛ والمراد **الدفء** : الغنم ، **وبالصرام** : النخل ، **والثلب** : الضعيف من ذكور الإبل ، **والناب** : الضعيف من إناثها ، **والفارض** : المسن من البقر ، **والداجن** : الذى يألف البيوت ، **والكبش الحورى** : هو ما يؤخذ من جلده النطع الأحمر ، **والصالغ** : ما دخل فى السنة السادسة من البقر والغنم ، **والقارح** : ما دخل فى الخامسة من الخيل .

تعقيب على النصوص السابقة

هذه جولة خاطفة فى الرياض النضرة الفسيحة لتراثنا العربى الأصيل ، ذلك الذى حوى من الذخائر والكنوز ما يكشف سرًا من أسرار اختيار المولى ﷻ لهذه اللغة العريقة لتكون وعاء لكتابه الخاتم ، ولسانًا مبينًا لتلك الدعوة الإسلامية الخالدة .

وعلى قصر الجولة ، وقصر الباع ، كان فى اختيارى – على حسب ما رأيت – ما يحقق الغرض من الإشارة إلى منابع المعرفة فى معظم فروع العربية من متن اللغة ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والأدب ، والقراءات ، واللهجات ، من خلال النص القرآنى والنبوى والشعر والدراسة .

ولقد تعمدت أن يكون تدخلى بقدر الضرورة فى الفصل الأول ، وهو ما يتعلق بدراسة النصوص القرآنية لهدفين :

أحدهما : أن يرى شبابنا أن المراجع الأصيلة ليست بالصعوبة التى يتصورونها ، وأنهم فى إمكانهم أن يقبسوا منها بأنفسهم بعد التعود والتمرس بها وشرح أمثلة منها .

والثانى : أن يتميز من يحرص على الحضور للعلم والفهم والتلقى ممن يعتمد على نفسه فى قراءة النص وفهمه دون مرشد ومعلم .

أما الأحاديث النبوية فلأن معانيها وما حولها من دراسة مفرق فى مراجع كثيرة يصعب على أبنائها الآن أن يستوعبوها أو يقتنوها ،

وبخاصة ما يتعلق بالعلوم العربية فيها ، لذا أفرغنا فيها جهدًا قد يكون واضحًا ومفيدًا فى كيفية التذوق والتطبيق لقواعد النحو والبلاغة والاشتقاق ، واستكناه الأساليب الفصحى التى تبوأ بها المصطفى ﷺ قمة البيان البشرى .

أما " لامية العرب " فقد عنيت فيها بشرح المفردات اللغوية ، وذكر أمثلة من الإعراب ، وأنواع البيان ، ليمرن طلابنا على استخراج ما بقى منها بالقياس إلى ما فهموه ووعوه ، وتركت شرحها التفصيلى لهم ، حيث هو – بعد معرفة غوامض الكلم – ميسور وسهل .

وأما النص الأخير فهو لعالم محدث ، أسلوبه ليس مما يحتاج إلى شرح ، وإن احتاج التذكير بالخلفية الثقافية عن اللغة واللهجة وتطور الدلالة ، وذلك ما يتكفل به الشرح فى قاعات الدرس .

والآن إلى بعض البحوث فى قضايا اللغة والنحو ، لعلها تكشف للقارئ جوانب غطت عليها رواسب فكرية ، أو دعاوى سطحية ، لا يليق بالدارس الجاد أن يهملها ، وسنكتفى ببحثين :

أحدهما عن : " أثر الدرس اللغوى فى فهم النص الشرعى " .

والآخر عن : " تقعيد النحو بين النص القرآنى والشعر العربى " .

أثر الدرس اللغوى
فى فهم النص الشرعى

مُقدِّمة :

بسم الله الرحمن الرحيم نستروح عبق الإيمان ، وبحمده وتسبيحه نستمطر العون والتوفيق والرضوان ، وبالصلاة والسلام على من أوتى جوامع الكلم ، ونوابغ الحكم ، وسوابغ النعم ، نعطر جو الزمان والمكان .

أما بعد ...

فإن هذا الموضوع الذى يعبر عنه عنوان هذا البحث مما ينبغى أن تكثف حوله الجهود قبل أن يستغلق فهم النص ، أو يجمد الذهن على معنى ضيق أراد الله أن يكون واسعًا ، أو يحاول العقل توسيع ما أراده الله محدّدًا .

- ذلك أننى ممن يرى أن الفصل التعسفى الذى حدث بين علوم العربية دون ربط معنوى يقف بالدارس على الفروق الدلالية بين أسلوب وآخر ، وعلى السر فى هذا الاختلاف .. من أهم أسباب انصراف هذا الجيل عن تعلم العربية وتذوقها والتعمق فى أسرارها وخصائصها .

- كما أن من هذه الأسباب الاهتمام بعلم النحو على أنه قواعد جافة ، يُمثّل لها بأمثلة صارت أضحوكة فى بعض وسائل الإعلام من كثرة تردادها على ألسنة الحافظين لها دون ظهور أثر تطبيقى لها على الأساليب الفصحى التى تحرك المشاعر وتبين الحِكَم ، وتأخذ بلب القارئ والسامع دون أن يدرك السر فى تراكيبها حتى يستطيع أن ينسج الدارس على منوالها .

- وليس بخاف على أحد أن أفصح هذه الأساليب وأروعها وأقربها إلى قلوب المؤمنين أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ؛ تلك الأساليب التى استنبط منها الفقهاء أحكام الشريعة ، واختلفت وجهات نظرهم أحيانًا فى فهم النص ، ورتب كل منهم حكمه على هذا الفهم مستدلاً على فهمه باستعمال العرب للفظة ما فى معنيين اختار منهما ما رآه متسقًا مع السياق ، أو مع نص آخر أو معتمدًا على إمكانية فهم الجملة القرآنية أو النبوية مرتبطة بما قبلها ، أو مستأنفة معنى جديدًا تسمح به قواعد الفصحى ، أو مفسرًا لمعنى الجملة على الحقيقة أو على المجاز .
- **وكثيرًا ما ثار لدى المثقفين** ثقافة مدنية سؤال عن سبب اختلاف الأئمة فى بعض الأحكام الشرعية ، بل وكثيرًا ما تعصب بعض المسلمين لرأى فى مذهب ما منددًا بالآراء الأخرى والمذاهب المخالفة لرأيه ، بل ومجندًا كل طاقات دعوته فى توهين المذهب الآخر .. وفى ذلك تبديد لجهود الدعوة التى ينبغى أن تركز حول الأصول العامة التى لا خلاف حولها ، والثوابت الراسخة فى ديننا ؛ حيث إن الإسلام يسع جميع تلك الآراء ما دامت اللغة التى نزل بها كتابه تسيغ هذا الفهم ، ويحتمله التركيب .
- ورسولنا ﷺ قد أرانا النموذج الأمثل فى فهم النص على **حقيقته** أو على مجازه فى حديثه المشهور حين قال للجنود بعد أن كفى الله المؤمنين القتال فى غزوة الأحزاب وأمر بالتوجه إلى بنى قريظة

الخونة حيث قال : « **لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ** » ففهم بعض الصحابة هذا الحديث على معناه الحقيقى بحيث إذا جاء وقت العصر قبل أن يصلوا إلى بنى قريظة امتنعوا عن الصلاة تنفيذًا لأمر رسول الله .. وفهم البعض الآخر أن الرسول ﷺ يقصد بنهيه هذا الإسراع فى الوصول إلى بنى قريظة لمباغتتهم وحين جاء موعد صلاة العصر صلوها فى الطريق .

ولما علم رسول الله ﷺ بما فعله الفريقان أقر كلا على ما فهم وما فعل .

لهذا وذاك أقدم هذه المحاولة : أشير فقط إلى ما فى دراسة العلوم العربية من أثر فعال فى الفهم الصحيح والمعتدل لوحى الله الخالد .

وليكن هذا البحث إشارة فقط وتمهيدًا لدراسة التراث العربى فى مظانه ومراجعه وإضاءة لمسالك البحث وفهم النص .

ومن الله وحده نستمد العون ونرجو النفع ؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تمهيد :

قبل أن ندخل فى تفاصيل هذا البحث نستصحب بعض الحقائق التى تفيدنا فى فهم الأسس التى ينبنى عليها ما يمكن استنباطه من نتائج توضح أهمية التعمق فى درس الفصحى وسيلة وحيدة للوصول إلى مراد الله من وحيه المبارك بقدر الطاقة البشرية :

١ - الدرس اللغوى المقصود ليس خاصًا بفقه اللغة ومعاجمها - كما قد يتبادر إلى الذهن - إنما المقصود به دراسة النص من جوانبه اللغوية المتعددة : دلالة لغوية معجمية ، أو صرفية ، أو نحوية ، أو بلاغية ؛ فكل ذلك له تأثيره الواضح فى الفهم والاستنباط ؛ وهذه العلوم متكاملة لا يغنى أحدها عن غيره .

٢ - النص الشرعى المقصود فى هذا البحث منحصر فى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكلاهما - كما هو من البدهيات - بلسان عربى مبين .

٣ - هذا اللسان ما اختاره الله أداة لوحيه ووعاء له ، إلا لتميزه عن غيره من اللغات من حيث وفرة المواد اللغوية وتعدد معانيها واستخداماتها وتراكيبها وصيغها ، مما يحقق البلاغ المبين إلى كل العالمين .

٤ - فى أثناء نزول الوحى كانت السليقة العربية والنبوغ فى فنون الكلام الفصيح شعرًا ونثرًا سمة غالبة فى البيئة العربية وبهذه السليقة أدرك العرب مرامى ومدلولات الوحى مما جعلهم يسجدون لبلاغته ويعجزون عن مجاراته حتى من قبل أن يؤمنوا به .

٥ - عالمية الإسلام أتاحت لجميع الأجناس البشرية على اختلاف

ألسنتها وألوانها وأوطانها أن يدخلوا فى دين الله أفواجًا ، وصار من حقهم أن يفهموا نصوصه وتعاليمه ، ومن حيث إن لغاتهم تختلف عن العربية كان لابد لهم من تعلم لغة الوحى ليصلوا إلى ما يريدون .

٦ – من أجل ذلك هرع علماء الإسلام منذ عصر الصحابة إلى تقعيد هذه اللغة وضبط مفرداتها المستعملة زمن الوحى ، وسمات الأساليب والتراكيب العربية .. وبهذا نشأت كل العلوم العربية لخدمة هدف محدد هو الحفاظ على القرآن والسنة من التحريف أو الفهم السقيم أو التأثر باللغات الوافدة .

٧ – فى عهد أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب " وبعد الفتوحات الإسلامية ظهر اللحن فى ألسنة بعض المسلمين الذين دخلوا فى دين الله ولغاتهم تختلف عن العربية ، ومن ذلك ما روى عن أعرابى دخل المدينة وطلب من أحد القراء الأعاجم أن يعلمه القرآن فبدأ معه بسورة التوبة حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ ﴾(١) فنطقها القارئ بكسر اللام من " رسوله " فقال الأعرابى ذو السليقة السليمة : وأنا برئ من رسوله كما برئ الله منه ومن المشركين ؛ فأمسك القارئ – الجاهل

(١) سورة التوبة – الآية ٣ .

بلغة الوحى – بتلابيب الأعرابى وذهب إلى سيدنا " عمر " مخبـرًا إياه بأن هذا الأعرابى قد برئ من رسول الله ، فسأل " عمر " هذا الأعرابى فحكى له ما حدث ؛ فقال له : " **ما هكذا نزلت الآية يـا أعرابى ، إنها بضم اللام من " رسوله "** ؛ فقال الأعرابـى وأنـا برئ ممن برئ الله ورسوله منهم ؛ وأسـاس هـذا الفهـم لـدى الأعرابى أننا إذا نطقنا كلمة " رسوله " بكسر اللام كانت معطوفة على المشركين الذين وقعت عليهم البراءة كما تقول : عجبت من محمد وعلىّ ، فالعجب منصب عليهما معًا ؛ أما إذا قرنت الآيـة بالرفع فإن كلمة " رسوله " تكون بدءًا لجملة جديـدة تقـديرها : ورسوله برئ منهم كذلك .

وخرج سيدنا " عمر " مرة فلقى شبابًا يتبارون فـى الرمـى فعاب عليهم طريقة رميهم ، فقال شاب منهم : يا أمير المـؤمنين نحن قوم متعلمين ؛ فغضب " عمر " وقال : " **لخطؤك فى كلامك أشد علينا من خطئك فى رميك** " .

ولهذا بدأ علماء الصحابة **كأبى الأسود الدؤلى وسيدنا " على بن أبى طالب "** فى وضع قواعد النحو للمحافظة على الإعراب.

٨ – وحين قرأ بعـض المتعلمـين قولـه تعـالى : ﴿ **وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ** ﴾[١] بفتح التاء من " تنكحوا " رد عليه

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٢١ .

من يعرف مسار اللغة ، والفروق الهامة بين الصيغ : ولو آمنوا يا بنىّ لن نتزوجهم ، فلا زواج بين الرجال والرجال ؛ وعليك أن تضم التاء لتفيد معنى التزويج لا التزوج ؛ ذلك أن فتح التاء يقتضى أن الفعل مضارع للثلاثى : نكح ، أما الضم فيجعله مضارعًا للفعل الرباعى : أنكح ، والفرق بين اللفظين واضح .

ومن هنا كانت الحاجة إلى علم الصرف .

٩ - ثم تبع ذلك أن بدأت الشبهات تسرى بين بعض المسلمين تشكك فى سلامة الأسلوب القرآنى وألفاظه ، ومن ذلك أن **نافع بن الأزرق** الخارجى حين رأى حبر الأمة سيدنا **عبد الله بن عباس** يجلس فى مسجد النبى ﷺ **يفسر القرآن دخله الشك فى قدرة هذا** الغلام على تفسير كتاب الله ، **فجمع بعض الأسئلة** التى رآها صعبة فى مجال الكلمات الغريبة فى القرآن ، وبدأ يسأله عن معانى هذه الكلمات وحين يجيبه سيدنا عبد الله بالمعنى يسأله : وهل تعرف العرب ذلك فى كلامهم ؟ فيرد عليه ابن عباس ببيت من الشعر العربى يؤيد ما قاله فى تفسيره الكلمة ، وذلك كله من منطلق أن القرآن نزل بلسان عربى مبين .. وسميت هذه الأسئلة واشتهرت بـ " **مسائل نافع بن الأزرق** " وقد تجاوزت مائتى مسألة .. وكان هذا سببًا فى ظهور كتب غريب القرآن التى بدأت بها كتب المعاجم .

١٠ - ولما جلس أبو عبيدة معمر بن المثنى لدروس العلم فى المسجد

جاءه رجل يقول له : إن العرب حين تستعمل أسلوب التشبيه فإنها تشبه مجهولاً بمعلوم حتى يتضح المجهول فما بال القرآن يشبه مجهولاً بمجهول فى قوله تعالى عن شجرة الزقوم : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾[1] ؛ فنحن لم نر طلع الشجرة فهى مجهولة لدينا ، ورؤوس الشياطين أيضًا مجهولة لنا حيث لم نر شيطانًا ، فكيف وقع هذا فى القرآن ؟ فرد عليه **معمر** بأن العرب تكتفى بالصورة الذهنية عن الصورة المشاهدة ، ورأس الشيطان صورته فى الذهن العربى صورة كريهة مخيفة مرعبة ، فشبه به شجرة الزقوم ، كما فعل العرب حين شبهوا الرماح بأنياب الغول وهم لم يروا الغول فى مثل قول الشاعر :

أيقتلنى والمشرفىّ مضاجِعى ∴ ومسنونةٌ زرق كأنياب أغوال

ومن هنا نشأ علم البلاغة لخدمة أساليب القرآن أيضًا .

١١ – ولما كان الهدف واحدًا لهذه العلوم تعاونت وتكاملت فى فهم النص الشرعى ، وأجمع علماء الشريعة وفقهاؤها أن تعلم العربية والتعمق فيها شرط أساسى لكل باحث فى أى علم شرعى ، ولجأ أئمة الاستنباط إلى تلك القواعد يستعينون بها على بيان أحكام الله ، بل جعلوها أحيانًا حكمًا بين الآراء ، ومرجحًا لبعض الأحكام ، فكانت مباحث الألفاظ العربية – مثلاً – بابًا

---

(١) سورة الصافات – الآية ٦٥ .

رئيسًا فى علم أصول الفقه ، وكان اشتراط أهل العلم فى أى مجتهد أن يكون إلمامه عميقًا بأسرار العربية ، وكانت مقولات المفسرين فى بداية كتبهم تنبيهًا مسهبًا إلى أهمية التعمق فى العربية بعلومها المختلفة وسيلة لفهم كتاب الله ؛ ومن أهم هذه العلوم : **علم الغريب والمعاجم** ، و**علم الصرف** ، و**علم النحو** ، و**علم البلاغة والأدب** .

ضرورة الدلالات الأربع

يرجع الأساس الذى بنينا عليه أهمية الرجوع إلى هذه العلوم إلى أن القارئ لأى نص عربى قد يصادفه لفظ لا يدرى استعمال العرب لـــه ، فيلجأ فورًا إلى المعجم العربى ليعرف دلالته اللغوية .. غير أن المعاجم العامة وبخاصة الكبيرة منها مثل " **لسان العرب** " تـــستوعب المعــانى الواردة فى اللغة بمختلف لهجاتها ، وما ورد من شعرها ونثرها .. وقد يصعب على الدارس للنص القرآنى تحديد المعنى المراد من خلال هذه المعاجم ، فالأفضل له أن يلجأ إلى كتب الغريب بحيث إذا كان البحـــث عن معنى لفظ قرآنى رجع إلى كتب : **غريب القرآن** ؛ وإن كـــان فـــى حديث نبوى لجأ إلى كتب : **غريب الحديث** ؛ ومن أفضل هذه الكتب فى غريب القرآن : " **المفردات** " **للراغب الأصــفهانى** ؛ و" **معجــم ألفــاظ القرآن الكريم** " **لمجمع اللغة العربية** ؛ أما كتب غريب الحــديث فمـــن أيســـرها كتاب " **النهايـــة فى غريب الحـــديث** والأثر " **لابن الأثيـــر** ، و" **الفائق فى غريب الحديث** " **للزمخشرى** ؛ ومن العلماء من جمع بين **غريب القرآن والحديث** مثل **الهروى** فى كتابه : " **الغريبين** " .

ومع كل ذلك لابد من إدراك السياق للنص عند تحديد المعنى المراد .

– وبعد أن يعرف المعنى اللغوى للمادة لابد له أن يبحث عن الـــصيغة التى أتت عليها المادة ، إذ لكل صيغة معنى يخصها ، وعند معرفـــة الصيغة ومعانيها الواردة فى اللغة ينضاف المعنـــى الـــصيغى إلـــى

المعنى اللغوى للمادة ؛ وستأتى أمثلة كثيرة توضح أن كل حرف يزاد على أصول الكلمة العربية لابد أن يكون له معنى زائد يقصده البليغ ، ويتكفل ببيان هذه الصيغ علم الصرف .

كما أن دراسته مهمة للغاية فى كيفية تجريد الكلمة من زوائدها ليتمكن الدارس من الكشف على معناها فى المعاجم لأن معظم هذه المعاجم تضع تصرفات اللفظ تحت المادة اللغوية المجردة .

فإذا شاء الباحث معرفة معنى **الاستقامة** مثلا كان عليه أن يرجع إلى مادة : " **القاف والواو والميم** " .

وإذا أراد أن يبحث عن معنى التقوى كان عليه أن يبحث فى مادة : " **الواو والقاف والياء** " وهكذا ..

ومن مباحثه أيضًا ما يعرف به كيفية التأنيث والتذكير والتثنية والجمع والإمالة والوقف والإدغام وغير ذلك .

- وبعد أن يحدد المعنى اللغوى من كتب الغريب ، والمعنى الصيغى من علم الصرف يأتى دور علم النحو فى تحديد الموقع الإعرابى لهذه الكلمة ووضعها فى الجملة التركيبية حتى لا ينسب حدث إلى من لم يقم به .. ولا يخفى ما للعلامة الإعرابية فى آخر اللفظ من أهمية بالغة فى تحديد المعنى المراد ، وستأتى أمثلة كثيرة لاختلاف المعنى باختلاف الإعراب .

وقد تنوعت كتب النحو من عهد " سيبويه " إلى الآن **فمنها** ما اختص بشرح القواعد بأمثلة من واقع المستعمل لدى الدارسين، وهى

المشهورة الآن فى الدراسة التجريدية من أمثال شروح ألفية ابن مالك ، وهذا النوع من الكتب لا يصلح إلا للمتخصصين الحافظين لكتاب الله ، كما كان الوضع فى مناهج التعليم القديمة .

ومنها ما اختص بإعراب القرآن والسنة ، وهو منهج تطبيقى للقواعد على النص الشرعى ، وقد بلغت كتب الإعراب من الكثرة فى مختلف العصور ما يعكس الاهتمام بكتاب الله مثل : " **إعراب القرآن** " **للنحاس** ، و" **مشكل إعراب القرآن** " **لمكى بن أبى طالب** ، و" **البيان فى إعراب القرآن** " **لابن الأنبارى** ، و" **معانى القرآن وإعرابه** " **للزجاج** ، و" **معانى القرآن** " **للفراء** ، **وللأخفش** ، و" **إملاء ما من به الرحمن** " **للعكبرى** وكل ذلك مطبوع ومنشور .

وهناك لون آخر من الدراسة النحوية التطبيقية يتمثل فى توجيه القراءات القرآنية نحويًا ، سواء كانت قراءات متواترة – وهى القراءات العشر – أم كانت قراءات شاذة ، فمن ذلك : " **الحجة فى القراءات السبع** " **لأبى علىّ الفارسى ولابن أبى زرعة** ، **ولابن خالويه** ؛ و" **الكشف عن وجوه القراءات السبع** " **لمكى** ؛ و" **إعراب القراءات الشاذة** " **للعكبرى** ، و" **المحتسب** " **لابن جنى** .

ومن الدراسات النحوية الطريفة ما يتعرض لرد الشبهات التى أثارها الملحدون فى أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية ومن ذلك : " **تأويل مشكل القرآن** " **لابن قتيبة** ، و" **مشكلات الجامع الصحيح** " **لابن مالك** ، و" **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب** " **لابن هشام** ،

و" **البرهان فى علوم القـــرآن** " **للزركـــشى** ، و" **نتـــائج الفكـــر** " **للسهيلى** ، و" **بدائع الفوائد** " **لابن قيم الجوزية** .

- وحتى يتم الوضوح والبيان للأسلوب العربى لابد من معرفة ســياق النص وما لحقه ، وتتعرض لهذا كتب : " **أسباب النزول** " **للسيوطى وغيره** ، وكتب البلاغة التى تعنى بمقتــضيات الأحــوال وأســرار التراكيب فى التقديم والتأخير ، والإيجــاز والإطنــاب والمــساواة ، والحقيقة والمجاز ، والقرائن ، والمحسنات البديعية ؛ ومــن أفــضل كتبها : " **أسرار البلاغة ودلائل الإعجــاز** " **للإمــام عبــد القــاهر الجرجانى** وكتاب " **التلخيص وشروحه** " **للخطيب القزوينى** .

- وفى كتب التفسير عناية بهذه المباحث وإن كان بعضها يركــز علــى المباحث النحوية بحسب تخصص المفسر كما فى " **البحــر المحــيط** " **لأبى حيان** ، و" **الدر المصون** " **للسمين الحلبى** ، ومنهــا مــا يعنــى بالمعانى البلاغية كـــ " **تفسير الكشاف** " **للزمخشرى** ، و" **تفسير أبــو السعود** " و" **المحرر الوجيز** " **لابن عطية** ، ومنها ما يعنــى بالأحكــام واستنباطاتها من النص مثل " **الجامع لأحكام القرآن** " **للقرطبى** وهكذا .

أهمية الكشف عن المعنى اللغوى

من المهم جدًا التنبيه إلى أن القرآن والحديث قد يرد فيهما اللفظ الواحد مستعملاً فى أكثر من معنى ، ضرورة مراعاتهما للهجات المختلفة ، حيث نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف ، وكان النبى ﷺ يكلم كل وفد من وفود العرب بلهجته ؛ وقد سبق أن أشرنا إلى أن الأفضل للدارس – الباحث عن معنى لغوى للفظ شرعى – أن يرجع إلى كتب الغريب وليس معنى ذلك أن المعاجم اللغوية لا تفيد الباحث عن المعنى المستعمل فى النص الشرعى ، ولكن بصعوبة تتدرج من المعاجم الصغيرة إلى المعاجم الكبيرة .

ومن أيسر هذه المعاجم " **المصباح المنير** " **للفيومى** إذ يعنى بالألفاظ الشرعية وهو يسير على طريقة الهجاء الألف بائى ، بمعنى أنه يقدم ما أوله همزة على ما أوله باء ، ثم على ما أوله تاء ، بحسب الترتيب المشهور للحروف العربية ، كما يقدم فيما أوله همزة ما ثانيه همزة على ما ثانيه باء ، على ما ثانيه تاء ، وهكذا إلى حرف الياء ؛ وكذلك " **المعجم الوسيط** " **لمجمع اللغة العربية** .

ومن المعاجم ما يسير على طريقة القافية مثل : " **القاموس المحيط** " و" **لسان العرب** " ، و" **الصحاح** " **للجوهرى** ، بمعنى أنه يرتب الكلمات بحسب الحرف الأخير منها فيقدم ما آخره همزة على ما آخره باء ، فمثلاً كلمة "صمد" نجدها فى " **المصباح المنير** " ، و" **المعجم الوجيز** " ،

و" **المعجم الوسيط** " ، و" **مختار الصحاح** " فى باب الصاد فصل الميم ؛ ونجدها فى " **القاموس** " ، و" **اللسان** " ، و" **الصحاح** " فى باب الدال فصل الصاد .

وحتى لا يكون الكلام نظريًا يتوه فى عالم العموميات نتعرض لبعض الأمثلة من النصوص القرآنية ليتبين صدق ما نقول من أهمية الكشف على المعنى اللغوى ومعرفته بدقة قبل فهم الآية :

١ - توقف ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ - مع ما عرف عنه من قوة الحافظة وإلمامه الواسع بالشعر العربى - عن الإدلاء برأيه فى معنى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾[1] فهو يقول : لم أفهم معناها إلا بعد أن سمعت ابنة ذى يزن وهى تقول لخصمها : تعال أفاتحك ، فعلمت أن الفتح مستعمل عندهم بمعنى الحكم والقضاء ، وعلى هذا فالمعنى : ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين .. وعلى هذا أيضًا نفهم قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[2] ؛ ذلك أنه يوم الحكم والقضاء بين الناس ، لا بمعنى فتح الأبواب ولا فتح الأمصار .

---

(١) سورة الأعراف - الآية ٨٩ .
(٢) سورة السجدة - الآية ٢٨ ، ٢٩ .

٢ – توقف أيضًا سيدنا عبد الله بن عباس فى معنى قوله تعالى : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١) حتى سمع رجلاً يخاصم آخر على بئر فيقول له : أنا فطرتها ، بمعنى أنه هو الذى بدأ حفرها دون سابق له .

٣ – توقف سيدنا " عمر بن الخطاب " ﷺ – بالرغم من درايته الكبرى بالشعر العربى – فى معنى التخوف فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾(٢) فى سورة النحل حتى قام بعض الصحابة فقال : هذه لغتنا يا أمير المؤمنين : التخوف عندنا التنقص ، أى أن الله يعدد احتمالات العقاب فى الدنيا للماكرين ، إما بخسف الأرض بهم ، وإما بإتيان العذاب الماحق من حيث لا يحتسبون ، وإما بأخذهم وهم يتقلبون فى منامهم أو فى معايشهم ، وإما بأخذهم بالتدريج : ينقص منهم النعم شيئًا فشيئًا حتى يهلكوا .

٤ – ورد اليأس فى القرآن الكريم بمعنى الإحباط والقنوط وعدم الرجاء مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٣) وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى ﴾(٤) وقوله : ﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾(٥) ؛ لكن هناك آية ورد

---

(١) سورة الأنعام – الآية ١٤ .
(٢) سورة النحل – الآية ٤٧ .
(٣) سورة يوسف – الآية ٨٧ .
(٤) سورة العنكبوت – الآية ٢٣ .
(٥) سورة فصلت – الآية ٤٩ .

اليأس فيها بمعنى العلم على لهجة من لهجات العرب وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ ﴾[1] ومعناها : أفلم يعلم .

٥ - قوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ ﴾[2]

اختلف الفقهاء فى حكم التوجه إلى الكعبة المشرفة هل الواجب تحرى عين الكعبة ؟ أو يكفى التوجه ناحيتها ؟ وهل على من يقيم خارج مكة أن يتحرى أيضًا عين الكعبة ؟ أو تكون قبلته مكة نفسها ؟ أو المسجد الحرام كله ؟ ..

وبعد اتفاقهم على أن من يكون فى المسجد الحرام - ويمكنه رؤية الكعبة - يجب عليه أن يتجه إلى الكعبة نفسها ، بحيث لو انحرف عنها بطلت صلاته .. جاء خلافهم فيمن هو خارج المسجد الحرام ، وانبنى الخلاف على الدلالة اللغوية لكل من كلمة " شطر " وكلمة " المسجد الحرام " ، إذ ورد الشطر فى اللغة بمعنى النصف ، وبهذا أخذ الفريق القائل بوجوب تحرى عين الكعبة ومنتصفها .. كما ورد الشطر بمعنى الجهة ، وبه أخذ الفريق الآخر الذى يرى الاكتفاء بالتوجه ناحيتها .

كما أن كلمة المسجد الحرام أطلقت فى القرآن على المسجد نفسه ، وعلى مكة كلها ، وعلى الحرم كله ، ومن هنا قال بعض

---

(١) سورة الرعد - الآية ٣١ .

(٢) سورة البقرة - الآية ١٤٤ .

الفقهاء من الصحابة والمجتهدين : إن الكعبة قبلة من فى المسجد ، وإن المسجد قبلة من فى مكة ، وإن مكة قبلة من بخارجها من الحرم ، وإن الحرم قبلة لأهل المشرق والمغرب ؛ وواضح أن قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾[1] قد ورد فيه لفظ المسجد مرادًا به ما حول المسجد حتى المواقيت .

٦ - فى قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾[2] لو فسرنا " نقدر " هنا بمعنى نستطيع لكان فى إيمان سيدنا يونس خلل ، إذ كيف يظن نبى ورسول أن الله عاجز عن إدراكه ؛ ولكن لو رجعنا إلى المادة اللغوية لوجدنا أن الفعل هنا مستعمل بمعنى التضييق أى فظن أن لن نضيّق عليه ، لأنه خارج للدعوة إلى الله فى مكان آخر ، بعد أن رفض قومه الاستجابة له ؛ غير أنه خرج دون إذن من ربه ، ومن هنا ضيق عليه فى بطن الحوت ؛ وبهذا المعنى ورد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾[4] .

(١) سورة البقرة – الآية ١٩٦ .
(٢) سورة الأنبياء – الآية ٨٧ .
(٣) سورة الإسراء – الآية ٣٠ .
(٤) سورة الفجر – الآية ١٦ .

على أن بعض النحاة قد فهم الفعل " يقدر " فى آية ذى النون بمعنى : يؤاخذ لأن المؤاخذة مبنية على القدرة .

٧ - فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾(١)

وردت كلمة " عرضة " فى اللغة بمعنى كل شيء اعترض ومنع ، كما وردت بمعنى الشيء المعرّض المبتذل بكثرة ؛ والآية صالحة لكلا المعنيين على أساس أن الله ينهى أن يُحلّف به على منع خير ، كصلة رحم مثلاً ثم يحتج الحالف بأنه لو لم يحلف لوصل رحمه .. كما أنه ينهى عن كثرة الحلف بالله كما ذمه فى آية أخرى فى قوله : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾(٢) .

٨ - قد يبين المعنى اللغوى الحكمة فى اختيار القرآن لفظًا معينًا له ظلال ، أو له إشارة إلى حكم ، أو ضابط حكم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾(٣) فقد اختار لفظ " **تثقف** " بدل " تجد " أو " تلقى " ، وفى ذلك حكمة ؛ إذ كلمة " **ثقف** " تعنى : وجده بحيلة وذكاء ودهاء ، فكأن الآية باختيارها هذا اللفظ توحى للمسلمين أن يستعملوا الحيل والفطنة ؛ ووضع كل الاحتمالات لضبط هؤلاء اليهود وهم مختبئون خلف حصونهم ، أو خلف الغابات ، فإن من طبيعتهم

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٢٤ .
(٢) سورة القلم – الآية ١٠ .
(٣) سورة الأنفال – الآية ٥٧ .

الجبن كما قال سبحانه : ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ﴾[1] .

٩ - ومن ذلك اختيار لفظ " **القنوت** " فى وصف المرأة الصالحة ، بدل لفظ **الطاعة** لأن القنوت هو الطاعة فى خضوع ، ومن المفروض شرعًا أن تكون المرأة قانتة لله دائمًا ، ولأبيها قبل زواجها ، ولزوجها بعد خروجها من بيت أبيها ، فالقنوت وصف دائم لها ، ومن هنا جاء قوله تعالى : ﴿ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾[2] وقوله : ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾[3] وقوله مخاطبًا نساء نبيه حين بدا من بعض نسائه تدلل وتذمر : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ ﴾[4] ، وقوله عن مريم : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴾[5] .

---

(١) سورة الحشر – الآية ١٤ .
(٢) سورة النساء – الآية ٣٤ .
(٣) سورة الأحزاب – الآية ٣١ .
(٤) سورة التحريم – الآية ٥ .
(٥) سورة التحريم – الآية ١٢ .

١٠ - ومن ذلك اختيار كلمة " الفسق " بدل " الخروج " لأن الفسق فى اللغة خروج إلى التهلكة ، تقول العرب حين يرون نضج البلح على الشجر ، يحثون صاحبه على جَنْيه قبل أن يفسد : فسقت الرُّطَبة عن قشرها - ويقولون : فسقت الفأرة عن جُحرها ، لأن الرطبة إذا انخرمت قشرتها تعرضت للميكروبات ففسدت ، والفأرة إذا خرجت من جحرها تعرضت لأعدائها فأكلتها .

١١ - ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[1] بدل : يزيل أثره فى زيادة المال ، لأن المحق فيه إشارة إلى الإزالة الكلية للأصل والربح معًا .

١٢ - ومن ذلك استعمال كلمة " الصلاة " بدل : الدعاء أو الانحناء ، لأن فى الصلاة إشارة إلى ما كان يحدث من العرب حين يلتقون بعظيم ، ينحنون له إكبارًا وإجلالاً ، وحين يلتقون بيتيم أو مريض ينحنون له إشفاقًا وحنانًا .. فاستعمل القرآن لفظ الصلاة المأخوذ من الصلا وهو واحد الصلوين المحيطين بفقرات الظهر ، ليدل على الصلاة لله خضوعًا وتعظيمًا ، والصلاة على رسوله أو على الجنازة حنانًا وحبًا وإشفاقًا .

١٣ - قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[2] الحكمة فى معناها اللغوى مأخوذة من حَكَمَة الدابة ،

---

(١) سورة البقرة - الآية ٢٧٦ .
(٢) سورة النحل - الآية ١٢٥ .

أى لجامها الذى يتحكم فى سيرها .. ومن هذا المعنى اللغوى قيل عنها إنها : وضع الكلمة المناسبة للشخص المناسب فـــى الوقـــت المناسب ، لأن راكب الدابة إذا رأى أمامه خطرًا حـــوّل وجهـــة فرسه إلى طريق آمن ، أو توقف بالكلية .

الأثر المعنوى لمعرفة الصيغ

مثّل علماء الصرف المادة اللغوية المجردة بالذهب المذاب : يوضع فى قوالب مختلفة فتظهــر منه أشكال متعــددة ، فهذا " قــرط " وتلك " أسورة " وهذا " عقد " وذاك " خاتم " بحسب الإطار الذى وضع فيه .. وطبقوا هذا المعنى على المادة اللغوية حين تصاغ على أوزان وصيغ ، فكما لا يقال عن الخاتم والأسورة والعقد : إنها ذهب فقــط ، كــذلك لا يقال عن التقوى ، والمتقى ، والوقاية ، والتقىّ : إنها بمعنى الحفظ فقط ؛ فكل صيغة من هذه الصيغ لها دلالة خاصة ؛ فالتقوى اسم مصدر مــن الفعل : اتّقى الدال على التكلف والمشقة ، أو على الاتخاذ والامتلاك ، كما نقول : استمع فلان فنفهم أنه بذل جهدًا فى الإصغاء متعمــدًا ، وإذا قلنا : سمع فلان فلا يدل على أكثر من إدراك سمعه لشيء دون تكلــف أو تعمق ، وإذا قلنا : اختتم فلان بالفضة علمنا أنه اتخذ وامتلك خاتمًا .

ومن هذين المعنيين نفهم أن كلمة " اتقى " ومنها التقوى تدل علــى أن صاحب هذا الحدث قد بذل جهدًا فى الوصول إلى اتخاذ وقاية مــن غضب الله ، وهذا الجهد متمثل فى القيام بتكاليف الــشرع فــى تنفيــذ الأوامر ، والبعد عن المنهيات ، فإذا قيل لنا : إن التقــوى هــى فعــل الطاعات ، واجتناب المعاصى .. علمنا أن هذا القــول نتيجــة لهــذه الصيغة ؛ أما المُتَّقِى فهو على صيغة **اسم الفاعل** الدال علــى التجــدد والحدوث لهذا الفعل ؛ وأما التقىّ فهو على صيغة **الصفة المشبهة** الدالة

على الدوام والثبوت ؛ ونخلص من هذا المعنى الذى حملته إلينا الصيغة أن من بذل جهدًا فى التقرب إلى الله ، وحفظ حدوده .. فقد اتخذ لنفسه وقاية وحفظًا وحراسة من الله لأن من حفظ الله حفظه الله .

١ - ومن أمثلة هذا المعنى الصيغى أن القاعدة الصرفية تقول : إذا أردنا صوغ اسم الزمان واسم المكان من مصدر الفعل الأجوف اليائى جاء على وزن " مَفْعِل " وتحديد الدلالة على الزمان أو المكان يرجع إلى السياق .. وهناك رأى لبعض العلماء معتمد على كثرة السماع يرى أن المصدر الميمى أيضًا يصاغ قياسًا من هذا الباب على هذا الوزن ، وعلى وزن " مَفْعَل " أيضًا ، مثل السير مصدرًا للفعل " سار " يأتى منه اسم الزمان والمكان على"مسير" ويأتى المصدر على " مسار " و" مسير " ؛ ودلالة المصدر كما هو من البدهيات على مجرد الحدث .. وفى ضوء هذه القاعدة نقرأ قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾[1] فنجد كلمة المحيض - وفعلها حاض يحيض ومصدرها الحيض - من هذا الباب فهل هى اسم زمان أو اسم مكان أو مصدر ميمى ؟ فى **الموضع الأول** : يترجح كونها مصدرًا ميميًا ، ورد بمعنى اسم الفاعل ، لأن السؤال عن الحيض بمعنى الدم النازل من المرأة فى

---

(١) سورة البقرة - الآية ٢٢٢ .

العادة الشهرية ، ولذلك كان الجواب بأنه أذى يخرجه الله من المرأة ، وهو أذى للرجل والمرأة حين يقترب منها أثناء نزوله ، أما **الموضع الثانى** : فإنه صالح للاحتمالات الثلاثة ، وإن كان احتمال اسمى الزمان والمكان أرجح ، فالأمر بالاعتزال موجّه للرجال فى زمن الحيض وفى مكانه ، وبذلك يكون تفصيل رسول الله لمكان الاعتزال بياناً فقط لما أجمل فى هذه الصيغة ، فبمجرد انتهاء زمن الحيض يحل للرجل الاقتراب منها - كما أن المحظور على الرجل فى هذه الأثناء أن يقترب من موضع خروج الدم فقط وما عدا ذلك حلال .

أرأيتم هذا الإعجاز فى الإيجاز بسبب إدراك معنى الصيغ .

٢ - ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ﴾(١) فإن معاجم اللغة تدل على أن القسط بفتح القاف هو الظلم والجور ، وقد ورد على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾(٢) لكن هذا الفعل " قسط " إذا دخلت عليه الهمزة أفاد معنى العدل وتسمى هذه الهمزة **همزة السلب والإزالة** ، فإن سلب الظلم هو العدل ؛ فإذا قال تعالى : ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٣) فهمنا أن الله يطلب منا إزالة

---

(١) سورة الأعراف - الآية ٢٩ .
(٢) سورة الجن - الآية ١٥ .
(٣) سورة الحجرات - الآية ٩ .

الظلم لأنه يحب ذلك ؛ وتأتى كلمة " القسط " بكسر القاف اسم مصدر من الإقساط بمعنى : إزالة الظلم أيضًا ويكون قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ﴾[1] بمعنى أمر بالعدل .

وبهذا المعنى الذى تدل عليه همزة السلب وردت أمثلة كثيرة عن العرب حيث يقولون : أعجمت الكتاب بمعنى أزلت عجمته ، وأشكيت فلانًا بمعنى أزلت شكواه ، وأقذيت عينه بمعنى أزلت القذى عنها وهكذا .

٣ - ومما يتصل باسم المصدر ما نتداوله فى التحذير من الغيبة والنميمة ، ذلك أن بعض الوعاظ ينطقون الغيبة بفتح الغين وذلك خطأ ، لأن الغيبة بهذا الضبط مصدر للفعل " غاب " ، والغياب ليس داخلاً فى الكبائر ، إنما المنهى عنه أن تذكر أخاك بما يكره وهو غائب ، والذى يؤدى هذا المعنى الفعل : " اغتاب " اغتيابًا ؛ واسم المصدر منه الغيبة بكسر الغين لا بفتحها ؛ ونسميه اسم مصدر لأنه دل على معنى المصدر ونقصت حروفه عن حروف فعله كما فى قول الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾[2] فالخيرة اسم مصدر من الفعل " اختار يختار اختيارًا " .

---

(١) سورة الأعراف – الآية ٢٩ .
(٢) سورة القصص – الآية ٦٨ .

٤ - قـــال تعـــالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ ﴾(١) اختلف المفسرون فى هذه الآية حيث يورد الجهلة سؤالاً : كيف يأمر الله المترفين بالفسق ؟ فقال بعضهم : إن مفعول الأمر هنا محذوف لفهمه مـــن الـــسياق وكان الأصـــل : أمرنا مترفيها بالطاعـــة والإصـــلاح ففـــسقوا وأفسدوا .. وقال المحققون : إن هناك قراءة متواترة تنطق هـــذا الفعل بمد الهمزة : آمرنا ؛ ومعناه : كثّرناهم لأن الهمزة هنا نقلت الفعل من اللزوم إلى التعدى ، والفعل هو " أمِر " بكسر الميم وهو يدل على معنى : كثر ، ومنه قول أبى سفيان للعباس يوم الفـــتح عن النبى ﷺ : لقد أمِر أمْرُ ابن أخيك ؛ أى ظهر وانتشر ؛ وهذا المعنى - فى تلك القراءة - هو نفسه فى القراءة المتداولة لحفص على الطريقة الأخرى للتعدية ، ففى القراءة الأولى تعدى الفعـــل بزيادة الهمزة وفى القراءة الثانية تعدى بتغيير الصيغة إلى باب : نصَر ينصُر ، فصار المعنى : أمرنا مترفيها أى كثّرناهم فيتفـــق معنى القراءتين ؛ وتكون كلمة " مترفيها " مفعولاً به ولا حـــذف فى الآية ؛ ويتفق ذلك مع الواقع التاريخى أن الله إذا أراد إهـــلاك أمة كثر فيها المترفون فطغوا وأفسدوا ..

٥ - قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾(٢) كثر فى هذه الآيـــة كـــلام

(١) سورة الإسراء - الآية ١٦ .
(٢) سورة الفاتحة - الآية ١ .

المفسرين من حيث إن المادة اللغوية فى اللفظين واحـدة ، هـى الرحمة ؛ فمن قائل إنه رحمان الدنيا رحيم الآخـرة ، أو المـنعم بالنعم الكبرى والصغرى .. وهكذا ؛ لكن الاحتكـام إلـى دلالـة الصيغة هو الذى يعطينا الفرق بين اللفظين ، ببيان واضح مقبول شرعًا وعقلاً ولغة ؛ ذلك أن صيغة " فعلان " فى الصفة المشبهة تدل على بلوغ الوصف منتهاه وذلك مثل فرحـان أو شـبعان ، ومثل : جوعان أو ظمآن ؛ وصيغة " فعيل " تدل على الانتـشار والذيوع مثل : كريم ، حليم ، لطيف ..

وحين نطبق هذا المعنى على الآية بعد تحويل فعـل : رَحِم – بكسر الحاء – المتعدى إلى رَحُم بضمها اللازم للدلالـة علـى الكثرة واللزوم والدوام ، كما هو الشأن فـى صـياغة الـصـفة المشبهة .. نجد أن المعنى فى وصفه تعالى بالرحمن أنه اتـصف بالرحمة اتصافًا ذاتيًا وبلغت عنده مبلغًا لا يمكن أن يصل إليه مَن سواه ، وفى وصفه تعالى بالرحيم يعنى أن رحمته وسـعت كـل شيء وانتشرت وعمت كل الخلائق .

ومن هنا يقول الإمام ابن قيم الجوزية : " الرحمن صـفة ذات والرحيم صفة فعل " ؛ ومن هنا أيضًا لا يطلق لفظ الرحمن إلا على الذات العلية ولا يوصف به مَن سواه إذ هو مرادف للفـظ الجلالـة فى مثل قوله تعـالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾[١] ،

(١) سورة الرحمن – الآية ١ ، ٢ .

وقوله : ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[١] .

٦ – فى قوله تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾[٢] جاء وصف النبى هنا بضيق الصدر من مواقف قومه ، وهو إذا كان ملازمًا للإنسان كان خلقًا سيئًا ، وهذا ما يتنافى مع وصف النبى بأنه على خلق عظيم ، ولهذا جاء الوصف بصيغة اسم الفاعل الدالة على التجدد والحدوث بعد أن لم يكن موجودًا ، فهو طارئ غير ملازم ..

أما حين وصف القرآن جهنم بالضيق فأنه لم يأت بصيغة اسم الفاعل وإنما جاء بصيغة الصفة المشبهة الدالة على الثبوت والدوام والملازمة فقال عنها : ﴿ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ ﴾[٣] وعلى هذا الوزن جاء : طيّب هيّن ، ليّن ، سيّد ، ميّت .

٧ – فى قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[٤] كلمة الصراط مأخوذة من : سرط الشيء إذا ابتلعه فى يسر وسهولة ، وهذه اللفظة هى التى حرفت فى اللغة العامية إلى : زلط ؛ غير أن اختيار صيغة " فِعال " لطريق الإسلام .. فيه دلالة أخرى غير

---

(١) سورة ق – الآية ٣٣ .
(٢) سورة هود – الآية ١٢ .
(٣) سورة الفرقان – الآية ١٣ .
(٤) سورة الفاتحة – الآية ٦ .

الدلالة اللغوية ، ذلك أن هذه الصيغة تستعمل فى اللغة للاشـتمال والإحاطة مثل الإزار ، الرداء ، اللحاف ، الغطـاء ، الخمـار ، الإطار ؛ فهى إذن فى الصراط إشارة إلى أن مـن يـدخل فـى الإسلام يجده سهلاً ، كما يبتلع المرء اللقمة فى سهولة ييسرها له البلعوم بما فيه من مادة مخاطية ، وهذا هو المعنى اللغوى ، وهو كذلك يغطى كل احتياجاته بحيث لا يفتقر إلى رافد آخر يأخذ منه رأيًا أو حكمًا أو توجيهًا ؛ وهذا هو المعنى الصيغى .

٨ - قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾(١) الفقه فى اللغة هو الفهم والإدراك ، أما التفقه فهـو التعمق والتكلف للفهم ، وهذا المعنى مأخوذ من الصيغة التى أتى عليها هذا الفعل .

وبهذه الصيغة نفهم أن القرآن يوجه طلاب العلم أن يبـذلوا أقصى جهدهم للتعمق فى فهم الدين لأن الفهم السطحى قد يـؤدى إلى الفساد فى فهم أحكام الله ..

ومن هذه الصيغة استدل جمهور الفقهـاء علـى ضـرورة اغتسال الحائض بعد انقطاع الدم قبل أن يباشرها زوجهـا ، لأن الطهر يطلق لغة على النقاء من الحيض ، وعلى الاغتسال ، أمـا التطهر فهو المبالغة فى الطهر مع تحصيل المشقة فى ذلك ، وهذا

---

(١) سورة التوبة – الآية ١٢٢ .

لا يتأتى إلا بالغسل والآية تقول : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾[١] .

٩ - قوله تعالى : ﴿ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾[٢] العمى قد يكون للعين وقد يكون للقلب ، فعمى البصر يأتى فى اللغة وصفه على صيغة " أفعل " فيقال فيه : أعمى ، ويجمع على : عُمْى وعميان ؛ كما فى قولك : أعرج ، أصفر ، أحول ، أكتع .. أما عمى البصيرة فيأتى الوصف منه على صيغة " فَعِل " فيقال : عَمٍ وجمعه : عَمُون ؛ كما فى قولك : قلق ، أرق ، فرح ، جزع ، حزن ، لبق ، جشع ؛ فإذا وصف الله الكافرين هنا بأنهم عَمُون فهمنا أنه يقصد أن عماهم فى بصائرهم وقلوبهم ، كما قال عن قوم نوح : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴾[٣] تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ﴾[٤] .

١٠ - قوله ﷺ : « **فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِى دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ** » ؛ الفقه - كما سبق - هو الفهم ، لكن إذا أريد الدلالة على هذا المعنى فقط جاء الفعل على صيغة " فَعِل يفْعَل "

---

(١) سورة البقرة - الآية ٢٢٢ .
(٢) سورة النمل - الآية ٦٦ .
(٣) سورة الأعراف - الآية ٦٤ .
(٤) سورة الحج - الآية ٤٦ .

فيكون : فَقِه يفقَه مثل فَهِم يفهم وعَلِم يعلم ؛ أما إذا أريد وصـــول هذا الفهم إلى درجة الملكات الثابتة والغرائز الدائمة بحيث يتصف بموهبة الفقه جاء التعبير بصيغة " فَعُل " كطهُر وشرف وكرم .

وهذا ما يريده النبى ﷺ لمن ينتفع بعلمه وهُـداه ، فينفع نفسه وغيره ؛ ويكون الفقه لديه كالطبيعة والغريزة التى خلق عليها .

الأثر المعنوى لمعرفة الموقع الإعرابى

أشرنا فيما سبق إلى أن القارئ أو الدارس للنص الشرعى لابد له بعد أن يدرك المعنى اللغوى للكلمات الواردة فى النص على أساس ما كان مستعملاً لدى العرب فى أثناء نزول الوحى – من حيث نزل بلسان عربى مبين – وبعد أن يدرك الصيغة التى وردت عليها تلك الكلمات .. لابد له أن يعرف موقع كل كلمة فى هذا النص – من حيث الإسناد والعلاقات التركيبية فى الجملة المفيدة – حتى لا يُنْسَب حدث إلى مَن لم يقم به ، فيختلف المعنى المراد للشرع ، وينحرف عن مساره ، كما أشرنا إلى أن الذى يتكفل بهذه المعرفة هو علم النحو الذى يحدد الموقع الإعرابى لكل كلمة من خلال قواعده واحتمالاته ؛ والأمثلة الآتية توضح أثر هذه القواعد فى استنباط المعنى والحكم الشرعى :

١ – قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ ﴾[1] اختلف الفقهاء فى وجوب القصاص بين الحر والعبد فيما إذا قَتَل الحر عبدًا هل يُقْتَل فيه أم لا ؟ وكان معتمدهم الأساسى فى فهم تركيب هذه الآية .

فمن رأى وجوب ذلك **وقف** على قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ﴾ وكلمة القتلى عامة تشمل الحر

(١) سورة البقرة – الآية ١٧٨ .

والعبد **وجعل** الجملة التى تليها : ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ ﴾ مستقلة عما قبلها ، حيث تستنكر هذه الجملة على العرب عادة الكبر والتعالى القبلية ، فحين كان يُقْتل عبد من قبيلة تَقْتُل أمامه حرًا من القبيلة القاتلة أخذًا بالثأر .

وإذن فهى تقر مبدأ المساواة ، وأول الآية كآخرها وكأنها تقول : دماء البشر متساوية فى الحرمة ، والعدالة تقتضى أن يُقْتَل القاتل بصرف النظر عن مكانته ، فإذا قَتَل الحرُّ حرًا قُتِل فيه ، وإن قتل العبدُ عبدًا قتل فيه بلا تمييز .

ومن رأى عدم التساوى بين العبد والحر ولم يوجب القصاص على الحر **جعل** الجملتين جملة واحدة ، **واعتبر** الثانية مفسرة لكلمة القتلى فى الجملة الأولى .. فكأنه قال : كتب عليكم القصاص فى القتلى إذا كان حرًا بحر أو عبدًا بعبد ، أما إذا اختلفا فلا قصاص على الحر إذا قتل عبدًا لأنه أدنى منه مكانة.

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] اختلف الفقهاء فى تحديد ما يسقط بالتوبة عن القاذف من العقوبات المفروضة

(١) سورة النور – الآية ٤ ، ٥ .

عليه فى هذه الآية ، ويرجع اختلافهم إلى القواعد النحوية التركيبية ، ذلك أن الجملة يمكن أن ينتهى فيها الخبر عن اسم الموصول : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ﴾ عند قوله : ﴿ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ ، وتكون العقوبة التى لا مناص منها هى الجلد ، ثم تبدأ جملة جديدة من قوله : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ على أساس أن الواو للاستئناف ، ثم يأتى الاستثناء : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ فتكون التوبة مسقطة للعقوبتين : عدم قبول الشهادة ووصفهم بالفسق .. فيعود القاذف بالتوبة إلى صفوف المسلمين ، تقبل شهادته ولا يوصف بفسق .

كما أن الأسلوب يحتمل معنى آخر وهو أن تكون الواو فى قوله : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا۟ ﴾ عاطفة على قوله : ﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ﴾ فيكون من اللازم جَلْدُه ورفضُ شهادته مطلقًا سواء تاب أم لم يتب ؛ وتكون جملة : ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ هى المستأنفة ، وبخاصة أنها خبرية ، ويكون الاستثناء منها فقط ، فالتوبة إذن لا تسقط إلا وصفه بالفسق ؛ والمعتمد فى كلا الرأيين على ملحظ نحوى تركيبى هو اعتبار الواو حرف استئناف أو حرف عطف .

٣ – قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾[١]

---

(١) سورة الأنبياء – الآية ٢٢ .

الدارس للغة العربية دراسة سطحية يعلـم أن " إلا " لا تـأتى إلا للاستثناء مما قبلها أى أن ما بعدها جزء مما قبلها .. وهذا المعنى لو طبق فى هذه الآية لأدى إلى فساد فى العقيـدة ، إذ سـيكون المفهوم أنه لو كان فيهما آلهة والله منهم لم تفسدا .. لكن المتعمق فى اللغة يعلم أن " إلا " هنا ليست للاستثناء ولكنها بمعنى " غير " وأن المعنى : لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا.

٤ - قولـه تعـالى : ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾[1] لو أخذنا بظاهر اللفظ فى تلك الآية لكانت الكلاب المعلمة حلالاً أكلها بنص الآية ، إذ أحل الله الطيبـات ، وعطف عليها المعلّم من الكلاب ؛ لكن النحو حين يتدخل بقاعدته المشهورة " قد يحذف المضاف فيقوم المضاف إليه مقامه " تـرى الجملة يستقيم معناها المقصود ، وتفهم على أن الذى أُحِـلَّ هـو صيد الكلاب المعلمة لا نفس الكلاب بدليل آخر الآية : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾[1] وتقدير الآية على قاعدة النحاة : أحـل لكم الطيبات وصيد ما علمتم من الجـوارح ؛ أو إعـراب ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم ﴾ مبتدأ ، وجملة ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ خبره .

---

(١) سورة المائدة – الآية ٤ .

٥ - قوله تعالى : ﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾[١] المعهود فى اللغة أن فعل النصر يتعدى بحرف الجر " على " لكنه هنا لم يقل " ونصرناه على القوم " وإنما قال : ﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾ فما السر فى ذلك ؟ يجيب النحاة بأن الفعل إذا تضمن معنى فعل آخر تعدى تعديته ، وهنا ضُمِّن فعلُ النصر معنى النجاة والانتقام فإن هؤلاء الذين كذبوا " **نوحًا** " بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، وسخروا منه وهددوه بالرجم .. لا يستحقون من الله إلا الانتقام بالإغراق فى الطوفان ، أما هو ومن معه من المؤمنين فلهم النجاة فانظر كيف أدى التضمين هنا معانى النصر والنجاة للمؤمنين والانتقام من الكافرين .

٦ - قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾[٢] السطحيون يقولون إن الباء هنا بمعنى " من " أى يشرب منها عباد الله ؛ ولكن المحققين المتعمقين يقولون : إن القرآن الكريم لم يضع حرفًا مكان حرف إلا لعلة وسبب ، قد يخفى علينا فى زمن ، وقد يظهر فى زمن آخر ، وهذا سر من أسرار الإعجاز ، ومن هنا تأتى قاعدة التضمين لتحل هذا الأسلوب إلى معنى جميل : ذلك أن الشارب قد يشرب الشيء وهو مكره كالمريض حين يحتسى

---

(١) سورة الأنبياء – الآية ٧٧ .
(٢) سورة الإنسان – الآية ٦ .

الدواء ، وقد يشربه ولا يرتوى به بل يزيده عطشًا على عطش ، لكن الشارب فى الجنة يشرب من تلك العين وهو متلــذذ مرتــو مستمتع بها وعلى هذا فالفعل " يشرب " فى الآية متضمن معنى : يرتوى ويتلذذ .

٧ - ومن هذا الوادى قوله ﷺ عن الصلاة : « **أرحنا بها يا بلال** » إذ لم يقل : أرحنا منها ؛ من حيث إن الباء تفيد السبب ، فهــى التــى تحقق الراحة .

٨ - ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ** ﴾(١) ولم يقل : " الذين هم فى صلاتهم ساهون " فالسهور عن الــصلاة ترك لها .

٩ - كما أن من فوائد التضمين فهمُ قولــه تعــالى : ﴿ **لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ** ﴾(٢) من حيث إن الفعل " قعد " يتعدى بحرف الجر ، ولا يتعدى بنفسه ، وهو هنا قد تعدى إلى المفعــول بــه بنفسه ، فجعل ﴿ **صِرَٰطَكَ** ﴾ منصوبًا بــه ، ولا يتــأتى هــذا إلا بتضمين " أقعد " معنى " ألزم " أى لألزمن صــراطك المــستقيم قاعدًا فيه أُوَسْوِس لهم أن يتركوه .. ذلك أن القعود من شــأنه أن يكون طارئًا متجددًا ، يفارقه المرء إلى المشى ، وإلى الوقوف ،

---

(١) سورة الماعون – الآية ٥ .
(٢) سورة الأعراف – الآية ١٦ .

وإلى النوم ، لكن الشيطان لا يفارق الطريق المستقيم ملازمًا إياه ، يصد الناس عنه ، ولا ييأس من ذلك ولا ينتقل عنه ؛ والذى أفادنا ذلك هو التضمين .

١٠ – من هذا الباب أيضًا قولنا حين الرفع من الركوع : " سمع الله لمن حمده " فإن الفعل " سمع " متعد بنفسه إلى المفعول قال تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾(١) وقال ﷻ : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾(٢) ولكنه هنا تعدى باللام لملحظ هام ، ذلك أن السماع قد يكون لشكوى كما فى الآية الأولى ، وقد يكون لقول مكروه منكر كما فى الثانية .. ولكن السماع هنا تضمن معنى الاستجابة ، إذ وعد الله الشاكرين بالمزيد من النعم فى قوله سبحانه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٣) فمن يحمد الله يكون طالبًا بطريق غير مباشر أن يزيده الله من فضله ، ومن هنا كانت اللام فى " سمع الله لمن حمده " أى سمع واستجاب له .

١١ – قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾(٤) اختلف

---

(١) سورة المجادلة – الآية ١ .
(٢) سورة آل عمران – الآية ١٨١ .
(٣) سورة إبراهيم – الآية ٧ .
(٤) سورة النساء – الآية ٣ .

الفقهاء فى اعتبار التعدد للزوجات هل هو الأصل ؟ أو الأصل الإفراد ؟ ولكل من الرأيين فى هذه الآية دليل .. فمن اكتفى بجواب الشرط ورأى أن الجملة قد تمت عند قوله : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ كانت الآية دالة على أن الأصل هو ما يرضى الزوج ويعفه ، سواء كانت واحدة أم أكثر .. وتكون الجملة الثانية محذوفة العامل وكأنه قال : " لماذا تتمسكون بالزواج من اليتامى وقد أبحت لكم مثنى وثلاث ورباع والنساء غيرهن كثير " ..

أما من جعل كلمة " مثنى " وما بعدها حالاً من " ما طاب لكم " فأنه رأى أن الأصل التعدد ؛ فانبنى كل رأى على وجه نحوى .

١٢ - قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[1] لو جعلنا الجار والمجرور ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ متعلقًا بالفعل ﴿ حَرَّمَ ﴾ ووقفنا على ذلك وبدأنا تعداد المحرمات من قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ ﴾ .. كان عدم الشرك محرمًا مما قد يفيد أن الشرك هو المطلوب ، أما إذا جعلنا الجار والمجرور متعلقًا بمحذوف هو الخبر مقدمًا على المبتدأ وهو المصدر المؤول من قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُواْ ﴾ كان المعنى :

---

(١) سورة الأنعام – الآية ١٥١ .

عليكم عدم الإشراك ؛ أى أنتم ملزمون بعدم الإشـــراك ويـــستقيم المعنى فى كل ما سيأتى بعد ذلـــك مـــن مثـــل : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ؛ ويمكن أن تكون " عليكم " اسم فعـــل أمـــر بمعنـــى الزموا عدم الإشراك ... إلخ .

الأثر المعنوى لمعرفة السياق

من ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾(١)

المعروف فى الأسلوب العربى أن المشبه به أقوى فى وجه الشبه من المشبه ، والمفروض أن الثروة الاقتصادية النظيفة تقوم على التجارة فى البيع والشراء ، وأن المكسب الناتج من البيع هو الأصل .. لكن الآية هنا تحكى عنهم تشبيهًا مقلوبًا فيشبهون المكسب الناتج عن البيع بربح الربا .. إشارة إلى أن الوضع الاقتصادى عندهم قد انقلب رأسًا على عقب ، فصار الربا عندهم هو مصدر الثراء ، وأن البيع ملحق به ، وهذا محل السخرية منهم والعجب من أوضاعهم ، حيث يعقب الله على ذلك : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾(١) .

٢ - قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾(٢)

أسلوب الحصر بالنفى والاستثناء أو بـ " إنما " أسلوب توكيدى

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٧٥ .

(٢) سورة الأنعام – الآية ١٤٥ .

يقصر حكمًا على شيء أو شيئًا على حكم .. وعند هذه الآية وقف بعض الفقهاء الأجلاء أمام هذا الحصر الإلهى للمحرمات فى أربعة أشياء فقط ، مع أن الحديث النبوى الصحيح أضاف إليها كـل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير والحمر الأهلية وغير ذلك .. فتساءل كيف يحصر الله ما حرم فى أربعة ثم يضيف النبى إليها ؟ .. هل تنسخ السنة القرآن ؟ وعلى ذلك رأى أن كل ما حرمه النبى غير هذه الآية يدخل فى باب الكراهة التحريمية .

أما الإمام الشافعى فإنه انتفع بقواعد البلاغة هنا فـى تقسيم القصر إلى حقيقى وإضافى .. واستحضر ما كان عليه الجاهليون من اعتراضهم على المسلمين فى تحريم الميتة حيث قالوا : كيف تحلون ما قتلتم وتحرمون ما قتل الله ؟ وفى تحريمهم للدم مع أنه خلاصة الغذاء ، بل إنهم كانوا يفصدون الإبل ، ويشوون الدم الناتج عن الفصد ويقدمونه للضيوف ، والمثل المشهور عن حاتم : هذا فصدى أَنَهْ ، وفى تحريمهم للخنزير مع لذة لحمه وشبهه بالأنعام ، وفى تحريمهم لما ذبح للآلهة مع أنه قربان .. وإذن فقد كان الخلاف بين المسلمين والكفار حينذاك منصبًا على هذه الأربعة ، فجاءت الآية ومثيلاتها فـى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾[1]

(١) سورة البقرة – الآية ١٧٣ .

لتقول لهم : إن ما ادعيتم حِلّه هو الحرام بعينه ؛ فيكون ردًا على معتقداتهم وليس حصرًا حقيقيًا ؛ كما يكون بينك وبين أحد خلاف فى تفضيل عالم على آخر فتقول له : إنما العالم محمد ؛ فأنت هنا لم تنف العلم عن غير محمد ، ولكنك حين نظرت إلى علمه وإلى علم غيره وجدت علم غيره كلاشىء بالنسبة لعلم محمد ، فادعيت أن محمدًا هو العالم .. وكذلك هنا ما حرمه رسول الله ﷺ بالنسبة لما حرمه الله شىء يسير فلا نسخ .

٣ - قوله ﷺ : « **ذَكَاةُ الْجَنِينِ ذَكَاةُ أُمِّهِ** » ؛ اختلف الفقهاء فى فهم معنى الحديث ففهمه البعض على أن ذكاة أمه ذكاة له فيؤكل ، فلا تشبيه ، وفهمه البعض الآخر على معنى التشبيه أى أنه يذكى مثل ذكاة أمه ؛ الأول أحلّ الجنين إذا سقط بعد ذبح أمه ميتا ، والآخر حرّمه ..

٤ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[1] قال عروة بن الزبير لخالته **عائشة** أم المؤمنين بعد أن قرأ هذه الآية : إذن فما على أحد جناح فى ألا يطَّوَّف بهما ؛ قالت **عائشة** : بئس ما قلت يا ابن أختى ؛ لو كان كذلك لقال : فلا جناح عليه ألا يطّوف بهما .. ذلك أن المسلمين تحرجوا أن يسعوا بين الصفا والمروة بعد إسلامهم ، لأن الصفا كانت موضع الصنم **إساف**

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٥٨ .

والمروة كانت موضع نائلة وكان السعى بينهما فى الجاهلية تعظيمًا لهذين الصنمين ، فلما تأثموا من ذلك جاءت الآية ترفع عنهم الحرج والجناح فى الطواف حولهما

٥ - قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] يستدل بها الكثيرون على فضل العالم على الجاهل مطلقًا ويهملون دلالة السياق فيما قبلها ، فإن أول الآية يقول : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[1] بداية الآية ونهايتها تتحدث عن أثر العلم فى سلوك الإنسان ، فالعالم الحق هو الذى يخشى ربه ، فيظل قانتًا وساجدًا طول الليل داعيًا وراجيًا وخائفًا ، وهو الذى يتذكر حق ربه ويتدبر آياته ؛ وإذن فكم من عالم كان الجاهل خيرًا منه ، ذلك الذى لا يعمل بما علم ، وهو أول من تسعّر بهم نار جهنم يوم القيامة .

٦ - قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[2] يستدل بها المحدثون على حرية العقيدة فى الإسلام ، فمن اختار الكفر فلا حظر عليه ، ويبطلون حد الردة ، وذلك من خطل التفكير

---

(١) سورة الزمر – الآية ٩ .
(٢) سورة الكهف – الآية ٢٩ .

ومجاراة الحضارة الغربية وليّ عنق النصوص لتساير الحاضر .. وقرينة السياق هنا تفيد أن المقصود هو التهديد لمن يكفر بدليل أن ما بعد هذه الجملة قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾[٢] .

ومن أمثال هذا قوله تعالى : ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١] فهل معنى الأمر هنا إباحة للإنسان أن يفعل ما يشاء دون حساب أو أن ختام الآية يهدده برقابة الله .

٧ – قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[٢] وقوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾[٣] وقوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾[٤] الإتيان بهذه الأمور الثلاثة بلفظ واحد ، وبتعبير متماثل ، هو الكتابة والإلزام بقوله ﴿ عَلَيۡكُمُ ﴾ يلفت النظر إلى العلاقة بين هذه الأوامر ، فكل منها مكتوب وموثق ، والأمر به ملزم ، وكل منها مكروه ، ونحن مكرهون عليه لمصلحتنا التى لا نعلمها كما يعلمها ربنا .. وإذا

---

(١) سورة فصلت – الآية ٤٠ .
(٢) سورة البقرة – الآية ١٨٣ .
(٣) سورة البقرة – الآية ١٧٨ .
(٤) سورة البقرة – الآية ٢١٦ .

كان لنا أن نستنبط العلاقة بينها فإننا نرى الصيام محققًا **للأمن النفسى** ، حيث يعيش الصائم فى رقابة ربه ، ويشعر باستعلائه على المادة ، وأنه مادام مع الله فلا يخاف من شىء ولا على شىء ؛ والقصاص محقق **للأمن الداخلى** فى المجتمع من حيث إن المجرم حين يرى غيره قد اقتص منه لا يقدم على إجرامه ومن هنا جاءت الآية : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[1] ؛ أما الجهاد فإنه يحقق الأمن الخارجي للأمة إذ ما تركت أمة الجهاد إلا أذلها الله ، وإذن فمجموع هذه الأوامر هو الذى يحقق الأمن الشامل للفرد وللأمة .

(١) سورة البقرة – الآية ١٧٩ .

الخاتمة

هذا وللتعمق فى اللغة أثره فى فهم كل جملة فى كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ، وما انحرف بعض شبابنا عن الإسلام الصحيح إلا بجهلهم بمعطيات اللغة العربية ، سواء فى النصوص الخاصة بالعقيدة أم بالشريعة أم بالقصص القرآنى .. وإذا استرسلنا فى ذلك فسنجد أنفسنا أمام كلام الله عاجزين عن الوفاء بحقه .. وإن أنس لا أنس ذلك الشاب المتحمس حين قال لى : أنتم تقولون إن الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وأنا آتيك بآية فى كتاب الله صريحة فى نسبة الشرك لنبى ورسول مشهور .. قلت له : هات الآية يا بنى ، قال : يقول سيدنا " شعيب " : ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ﴾[1] فهو هنا يعترف أنه كان فى ملتهم قبل الرسالة ، وبأنه لن يعود إليها ؛ قلت له : ما أجهلك بلغة قومك يا بنى .. إذا كان فهمك هذا صحيحًا فكل الرسل – وليس شعيبًا وحده – كانوا مشركين ، ذلك أن الله ﷻ يقول فى سورة إبراهيم : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] فكل الرسل هددوا بالإخراج

---

(١) سورة الأعراف – الآية ٨٩ .
(٢) سورة إبراهيم – الآية ١٣ .

من أرضهم ، أو الدخول فى ملتهم .. فهل كان إبراهيم مثلاً مشركًا قبل الرسالة ؟ إن الجهل باللغة هو الذى أدى إلى هذا الفهم السقيم فإن اللغة تقول إن الفعل " عاد " إذا تعدى بحرف " إلى " كان بمعنى : رجع أما إذا تعدى بالحرف " فى " فأنه بمعنى " دخل " وإذن فمعنى ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ أى تدخلن ، ومعنى ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم ﴾ : إن دخلنا فيها بعد إذ نجانا الله من الدخول فيها .. إن النبى ﷺ حين حدد ثلاثة أمور للشعور بلذة الإيمان جعل منها : « وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ » فهل معنى ذلك أن المرء لا يدرك لذة الإيمان إلا إذا كان كافرًا وأسلم ؟!

إن فهم اللغة التى نزل بها الوحى هو السبيل الوحيد لفهم مراد الله ﷻ .. وكم من شبهات بنيت على مغالطات لا يحلها إلا الاستعمال العربى الفصيح ..

نصيحتى للشباب المتحمس لدينه المستعد لتبليغ دعوته أن يلتزم بما ألزمنا به الله أن يكون بلاغنا مبينًا ، وهو لن يكون كذلك إلا إذا فهمنا خصائص هذا البيان ، وفهمنا أسلوب نبينا الذى حصره الله ﷻ فى قوله : ﴿ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[1] .

فهيا – يا أصحاب الدعوة – إلى فقه ديننا بلغة قرآننا ، وسنة نبينا ، حتى نكون على بصيرة من أمرنا ، وحتى نكون أهلاً لتبعية نبينا ، قال

---

(١) سورة المائدة – الآية ٩٢ .

تعـــالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] صـــــدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ونحن علـــى ذلـــك مـــن الـــشاهدين ومـــن المقصرين فى حق رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم رسله وخير خلقه أجمعين .

---

(١) سورة يوسف – الآية ١٠٨ .

تقعيد النحو

بين النص القرآنى والشعر العربى

بين يدى البحث

بسم الله الرحمن الرحيم ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه من البررة الميامين .

أما بعد ..

ففى مجالات العلم لا معنى لمجاراة العواطف ، وتتبع الأخطاء لمن سبقونا حتى نظهر أننا ناقدون مجددون ، ففى ذلك خطر وخطل .

أما أنه خطر ، فإن مآل ذلك التهوين من عقول الفحول الذين بنوا هذا الصرح الشامخ الذى نفاخر به الأمم والأجيال .

وأما أنه خطل ، فإن التحرى والتأنى والتجرد والموضوعية والنزاهة قد تظهر لنا أسبابًا تصحح هذا الخطأ الذى ادعيناه .

وكم من عائب قولاً صحيحًا ∴ وآفته من الفهم السقيم[١]

ذلك أن حكمنا الآن على عصر – مرت عليه قرون – ربما لا يأخذ فى الحساب الظروف والدوافع والمناهج التى كانت تحكم مسار العلم آنذاك ، فحين يحاول أحدنا سحب المتعارف عليه الآن على هذا العصر الغابر ، يكون جائرًا فى حكمه ، ظالمًا لنفسه ، ولغيره ، وللحقيقة على سواء .

---

(١) البيت لأبى الطيب المتنبى فى ديوانه جـ٤ ص١٢٠ ط٢ سنة ١٩٥٦ مصر .

ولقد كانت العاطفة الإيمانية ، والدراسة الجزئية ، والثقة التامة ، وتواتر فصاحة كتاب الله ﷻ وراء ما رأيت من تجاوز بعض النحاة فى لجوئهم إلى الشعر الجاهلى - الذى قد يكون بعضه مجهولاً - ليستشهدوا به على قواعدهم ، مع ما بين أيديهم من آيات الله الموثقة الفصحى التى لم يرد فى العربية ما يدانيها ، والتى تحدت الجن والإنس أن يأتوا بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ، وكان من النتائج التى توصلت إليها فى خاتمة رسالة الدكتوراه ضرورة الإسراع فى وضع نهج جديد لنحو ينبع أساسًا من القرآن الكريم ، فنقدم للنشء زادًا روحيًا ولغويًا فى آن واحد .

وكانت هذه النتيجة مبنية على الدراسة المحضة لموضوع الرسالة ، ولم أكن أدرى حينذاك أننى سلكت نفسى - من حيث لا أشعر - فى تيار سبق اندفاعه نحو النحو ، من شأنه أن يقوض دعائمه دون تريث أو تقدير لنتائج ذلك وهى مدمرة وحالقة ، وإن كان مفهومى لهذا النحو يختلف اختلافاً جذريًا عن مفهوم هذا التيار .

ذلك أننى لم أكن قد اطلعت على ما قاله بعض الباحثين فى بعض كتبه : " كثير من المسائل النحوية كان من الممكن أن تقوم على القرآن وحده ، لأن وجه الاستشهاد بها واضح بين لا يحتاج إلى جدل أو مناقشة ؛ ولكن البصريين لم ينسوا أقيستهم إزاءها فتركوا الاستدلال بها اعتمادًا على هذه المقاييس ، وكان الأحرى بهم أن يحطموا هذه المقاييس ليأخذوا بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه "[١] وما قاله فى موطن آخر : " والحق أن القرآن الكريم لا يخضع لأقيسة البصرة ، ولا لأقيسة الكوفة ، لأنه مصدر القياس والأصل الذى يجب أن يقاس عليه فكيف ينقلب الأصل فرعًا والمصدر تابعًا ؟! "[٢] .

ولم أكن قد قرأت أيضًا ما نشره بعض الزملاء فى كتابه " **الرواية والاستشهاد باللغة** " : " فى فترة ازدهار دراسة اللغة فى القرن الثانى وما بعده كانت نصوص القرآن والسنة موثقة فى أيدى العلماء : **الأولى** بتوثيق سند القراءات فيها ؛ و**الثانية** بجهود العلماء فى جمعها ونخلها متناً وسندًا ؛ ومع ذلك فقد سلك النحاة إزاء هذا التوثيق موقفاً غريبًا ، إذ راحوا يؤكدون توثيقها بنصوص أقل منها توثيقاً بما أطلق عليه (**كلام العرب**) من الشعر والنثر ، حتى لنجد بين المتأخرين من يؤلف كتابًا بعنوان "**تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات**"[٣] ، ولأمر ما حرص ابن جنى فى كتابه " **المحتسب** " فى توجيه القراءات ، فأيهما إذن كان ينبغى أن يستدل به على توثيق الآخر ؟! من الواضح أن نصوص القرآن والحديث أشد توثيقاً ، وهى بذلك خليقة أن يستدل بها لا أن يستدل عليها "[٤] .

ولم يكن ذلك التيار محصورًا فى مجالات البحث فى مصر ، إذ

---

(١) القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم مكرم ص١٠٣ ط/ دار المعارف سنة ١٩٦٥ .

(٢) المرجع السابق ١٠٥ .

(٣) هو كتاب يستخرج الأبيات الشعرية الواردة فى تفسير الكشاف للزمخشرى ويربطها بمعانى الآيات .

(٤) هو أ. د. محمد عيد ص٢٥٩،٢٦٠ عالم الكتب سنة ١٩٧٢ .

صدر فى العراق كتاب يحمل عنوان " **نحو القرآن** " يقول فيه صاحبه : " إن القرآن هو الخليق بأن تكون أساليبه وتراكيبه المثال الذى ينحى نحوه ، ولكن الذى كان ممن وضعوا النحو فى أول الأمر غير ذلك ، بل عكس ذلك من بعض الوجوه ، فقد اشتطت بهم السبل وعميت عليهم المسالك فتنكبوا سبل القصد واعتمدوا فى وضع قواعد النحو على ما بلغهم من كلام العرب شعره ورجزه ومثله ... "[١] .

وكم كانت مفاجأتى حين رأيت كتابًا يحمل عنواناً مثيرًا وخطيرًا هو : " **الدفاع عن القرآن ضد النحاة والمستشرقين** "[٢] وترجع خطورته إلى أنه يسلك النحويين مع المستشرقين فى جانب ، والقرآن الكريم وأنصاره فى جانب آخر ، وفى ثنايا الكتاب يصف النحاة بأنهم طغاة ، ويحكم عليهم بمثل : (النحويون بوجه عام لاسيما البصريون قد جاوزوا الحد المعقول وأسرفوا على أنفسهم فى اللغة والدين) ؛ وبمثل : (النحاة البصريون يحترمون الشعر أكثر من روايات القرآن) .

وإذن فهو تيار هجومى مندفع أحياناً ، يقع فى اتهامات بعضها ما سبقت الإشارة إليه أن النحاة فسقة طغاة جاوزوا الحد المعقول !!

وكما كان الدافع الإيمانى هو الذى دعانى فى رسالتى إلى الحكم عليهم بالتجاوز كان الواجب الدينى أيضًا هو الذى يحفزنى اليوم للنظر فى موضوعية وأناة فى هذا الحكم الخطير ، لنرى هل كان استشهادهم

---

(١) هو الأستاذ / أحمد عبد الستار الجوارى ط. المجمع العلمى ببغداد سنة ١٩٧٤ .
(٢) نشر المعارف سنة ١٩٧٣ .

بالشعر العربى خطيئة أو جريمة ؟ وما مواطن استشهادهم بهذا ؟ وهل تركوا الاستشهاد بالقرآن حقاً ؟ وهل لديهم شك فى توثيق النص القرآنى حتى يستشهدوا بالشعر عليه ؟ وما قيمة هذا الشعر ؟ ولماذا لجأوا إليه يستشهدون به ؟ وهل كان النحاة – وعلى الأخص نحاة البصرة – يحكمون الأقيسة المنطقية فى النص القرآنى ؟ وعلام بنوا قواعدهم ؟ وما الطريقة المثلى التى كان ينبغى اتباعها – ولو بمنطق العصر الحديث – لتقعيد هذه اللغة ؟ وهل كان من الممكن أن تستمر هذه اللغة طوال هذه القرون بدون هذه القواعد ؟ وهل كان من الممكن فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بمعزل عن هذا العلم الذى ابتكروه ؟ وماذا كان الدافع الحقيقى لابتكاره ؟ وهل اختلفت ظروف عصرنا الراهن بحيث تحتاج إلى نحو جديد ؟ وما مدى احتياجنا الآن إلى نحو القرآن ؟ وما سمات هذا النحو ومميزاته ؟ وفى أى المراحل ينبغى أن يدرس ؟ وهل يمكن أن يستغنى به عن النحو القديم ؟

تلك نماذج من أسئلة حاولت الإجابة عنها فى هذا البحث ، راجيًا من المولى جل علاه أن يسدد الخطى وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .

الأستاذ الدكتور

محمد المختار محمد المهدي

قواعد النحو

أسباب نشأتها ودوافع استمرارها

مهما قيل فى نشأة النحو ، وأسبابها ، ومشروعية استمراره قانوناً يحكم الأساليب العربية ومعواناً لتعلمها ، فإن الإجماع منعقد على أن الحاجة إليه كانت وليدة الحفاظ على كتاب الله وسنة رسوله من أن تنالهما يد التحريف ، وعلى أن الغاية منه والهدف من تعلمه ينحصر فى فهم القرآن والسنة والفصيح من كلام العرب .

يقول الصبان فى حاشيته على شرح الأشمونى للألفية[١] : " وغايته : الاستعانة على فهم كلام الله ورسوله ، والاحتراز عن الخطأ فى الكلام ، وفائدته : معرفة صواب الكلم من خطئه ؛ كذا فى شرح الخطيب على المتن " .

ويقول الزمخشرى فى مقدمة " المفصل "[٢] : " ومن لم يتق الله فى تنزيله فاجترأ على تعاطى تأويله – وهو غير معرب – فقد ركب عمياء ، وخبط خبط عشواء ؛ وقال ما هو تقوُّل وافتراء وهراء ، وكلام الله منه براء " .

ويقول أبو حيان فى مقدمة تفسيره البحر[٣] : " فالكتاب (أى كتاب سيبويه) هو المرقاة لفهم الكتاب (أى القرآن الكريم) إذ هو المطلع

---

(١) جـ١ ص١٥ .
(٢) ص٤ ط.٢ دار الجيل .
(٣) جـ١ ص٣ .

على علم الإعراب ، والمبدى من معالمه ما درس ، والمنطق من لسانه ما خرس ، والمحيى من رفائه ما رمس ، والراد عن معالمه ما طمس ، فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير ، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير ، أن يعتكف على كتاب سيبويه فهو فى هذا الفن المعول عليه ، والمستند فى حل المشكلات إليه " .

هكذا يتفق **الصبان** وهو يشرح ألفية ابن مالك فى النحو **والزمخشرى** صاحب المفصل فى النحو والكشاف فى التفسير ، **وأبو حيان** صاحب البحر المحيط فى التفسير والتذييل والتكميل فى النحو ، على أن غاية علم النحو والدافع الحقيقى لابتكاره أنه وسيلة وحيدة لفهم كلام الله وكلام رسوله وميزان يحترز به المتكلم بالعربية عن الوقوع فى الخطأ ؛ ويلتزم به سنن الفصحى التى نزل بها كتاب الله .

يقول العقاد فى مجلة الأزهر[١] : " لولا القرآن الكريم لكان من المشكوك فيه كثيرًا أن يتوافر العلماء على وضع علم النحو ، وعلوم البلاغة ؛ ومما لا خلاف فيه أن اللغة العربية نشطت هذا النشاط وتقدمت هذا التقدم لأنها لغة كتاب مقدس – يدين به المسلمون – وهو القرآن الكريم " .

وللقارئ أن يتساءل بعد هذا الإجماع على ما استهدفه هذا العلم فى نشأته ، وما اكتسبه من أهمية بالغة على مدى التاريخ الإسلامى كله ، إذا كان الغرض الأساسى هو الحفاظ على معانى القرآن والمساعدة على

---

(١) مجلد ٢٤ ص٥٥ .

فهمه فلماذا لم يجعلوه أساسًا للاستشهاد على القاعدة التى يضعونها ؟ لماذا لجأوا إذن إلى الشعر وكلام العرب ، يستقرئونه ويستنبطون منه القاعدة ثم يفهمون النص القرآنى بعد ذلك على ضوء ما استخرجوه من قواعد ؟ وهل يعتبر فعلهم ذلك شكاً فى النص القرآنى ؟ أو توثيقاً له بالشعر والنثر من كلام العرب ؟

قبل أن نجيب على هذا التساؤل وقبل أن نحاول محو هذه الشكوك ينبغى لنا أن نكشف عن أنها ليست جديدة على الفكر الإسلامى ، ولذا أسوق للقارئ نصًا قديمًا يكاد يتفق مع هذا الذى يقال فى هذا العصر حتى فى الألفاظ : يقول **النيسابورى** فى مقدمة تفسيره بعد أن عاب الاستشهاد بالشعر على القرآن : " إن فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن !! " ثم يقول : " كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم فى القرآن والحديث ؟ " .

ثم أسوق نصوصًا أخرى لا يسع أى باحث منصف أن يشك فيها وهى كفيلة بالرد على هذا الاتجاه ، حتى لا تفهم المسألة على أنه رأى فى مقابل رأى :

يقول الحق سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[1] .

ويقول ﷻ : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ

(١) سورة إبراهيم – آية رقم ٤ .

مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[١] .

وسئل " عمر بن الخطاب " ﷺ وهو على المنبر عن معنى التخوف في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] .

فقام له شيخ من **هذيل** فقال : هذه لغتنا : التخوف : التنقص ؛ قال له " عمر " : " **هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟** " قال له : نعم قال شاعرنا :

تخوَّف الرحْلُ منها تامِكاً قردًا ∴ كما تخوَّف عودَ النبعةِ السَّفِن[٣]

قال " عمر " لأصحابه : " عليكم بديوانكم لا تضلوا " ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : " شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم "[٤] .

ومن المعروف أن أمير المؤمنين " عمر " كان من أوعب الناس وأحفظهم لشعر العرب .

وقد روى الأنباري عن ابن عباس قوله : إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب[٥] .

ومن المشهور تاريخيًا أن ابن عباس هذا – وهو ترجمان القرآن –

---

(١) سورة الشعراء – الآيات ١٩٣ – ١٩٥ .

(٢) سورة النحل – آية رقم ٤٧ .

(٣) التامك : السنام ، والقرد : المتجعد للشعر ، والنبع : شجر تصنع منه السهام ، والسفن : آلة النحت .

(٤) الموافقات جـ٢ ص٨٨ ، التفسير والمفسرون جـ١ ص٧٤ .

(٥) الإتقان جـ٢ ص١١٩ ، العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق جـ١١ ط١.

قد امتاز بهذا المنهج فكثيرًا ما سئل عن القرآن فإذا به ينشد الشعر دليلاً على المعنى الذى يفسر به ما سئل عنه ؛ وقد روى عنه الشيء الكثير ، ومنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها ، وقد بلغت مائتى مسألة أخرج بعضها ابن الأنبارى فى كتابه " **الوقف والابتداء** " وأخرج الطبرانى بعضها الآخر فى معجمه الكبير ، وقد ذكر السيوطى فى الإتقان بسنده مبدأ هذا الحوار الذى كان بين نافع وابن عباس وسرد هذه المسائل وأجوبة ابن عباس عليها .

وإذن ففى إبّان نشأة النحو كانت هناك موجة علمية بدأها أمير المؤمنين " **عمر** " وترجمان القرآن **ابن عباس** حين اعتدا بالشعر ديواناً للعرب ومفسرًا لما فى القرآن من مفردات غامضة ، أو أساليب غريبة .

وكانت مسائل نافع بن الأزرق مقدمة فى علمى المعاجم والتفسير .

وكانت الحوادث الشهيرة فى ضبط الآيات القرآنية التى قرئت خطأ بجر اللام من " رسوله " فى قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾[1] وفى فتح التاء من " تنكحوا " فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ﴾[2] مقدمة لعلمى النحو والصرف .

وقصة أبى عبيدة معمر بن المثنى مع من سأله عن تشبيه مجهول

---

(١) سورة التوبة – آية رقم ٣ .

(٢) سورة التوبة – آية رقم ٢٢١ .

بمجهول فى قولــه تعــالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[١] مبدأ لعلم البلاغة .

وكان هدف هذه الحركة العلمية إثبات صحة التحدى والإعجــاز ، بالتنقيب عن الأساليب العربية التى لها نظائر فى القرآن على أى وجه من وجوهه ؛ إذ كانت القضية الملحة فى ذلك الوقت هى إثبات أن هذا القرآن قد جاء فعلاً بلسان عربى مبين .

لم يشذ النحاة إذن عن الجو العلمى السائد وهم يعلمون بالنحو سليقة الفصحاء ، فاستشهدوا بالشعر لبيان الجواز أو الـشيوع أو النـدرة أو الشذوذ أو اللهجة ، وجعلوا تمثيلهم للقواعد بكلام مصطنع متداول حتى يغيروا فيه ويبدلوا دون حرج حسب احتياجات القاعدة فــى تثبيتهــا ، وحتى لا يتعرضوا عند التمثيل بآية قرآنية لتحديد معناها الذى قد يكون أوسع من هذا المعنى .

وهنا يثور سؤال : لماذا لم يستشهد للشائع بالآيات القرآنية التى لا تحتمل إلا معنى واحدًا ؟ ونرى أن تورعهم عن اتخاذ القــرآن مجــالاً للتمثيل التعليمى كان سببًا فى ذلك ، ومن هنا كان بعض النحــاة حــين يضطر إلى التمثيل بآية يقول : ويجوز فى غير القرآن كذا .

كما أن النشء المتعلم كان يبدأ حياته دائمًا علــى مــدى القــرون المتطاولة – حتى عهد قريب جدًا – بحفظ القرآن الكريم كلــه ، وهــو أقوى الذخائر عنده لتطبيق القواعد .

---

(١) سورة الصافات – آية رقم ٦٥ .

ثم إنه من الظلم أن نقول عن هؤلاء النحاة : إنهم تركــوا القــرآن ولجأوا إلى الشعر ؛ ذلك أنهم هم الذين أفردوا كتبًــا كثيــرة لإعــراب القرآن وبيان معانيه ، ويكفى أن نذكر منها " **معانى القرآن** " **للفــراء** ، و" **إعراب القرآن** " **المنسوب للزجاج** ، و" **إعراب القرآن** " **لأبى جعفــر النحاس** ، و" **معانى القرآن** " **للأخفش** ، و" **إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للقرآن** " **للعكبرى** ، و" **مشكل إعراب القرآن** " **لمكى** ، و" **التبيان فى إعراب القرآن** " **لابن الأنبارى** ، و" **الكشف عن وجــوه القراءات السبع** " **لمكى** ، و" **الحجــة** " **لأبى علىّ الفارســى** ، و" **المحتسب** " **لابن جنى** ، و" **إعراب ثلاثين سورة من القرآن** " **لابــن خالويه** ، وهذا كله مطبوع متداول وغير هذا من المخطوطات كثير .

وهم الذين أخرجوا للأمة كتبًا فى التفسير تعنى بالناحية الإعرابيــة وما يترتب عليها من معــان دقيقــة كــ**أبى حيــان** فــى " **البحــر** " ، و**الزمخشرى** فى " **الكشاف** " وغيرهما ، بل وجميع المفسرين يجمعون على ضرورة تعلم النحو قبل الخوض فى التفسير ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

والمدهش أن نقرأ لصاحب نحو القرآن الذى وصف النحاة بــأنهم تنكبوا سبل القصد وآثروا جانب المنطق وفى نفس كتابه :

" كان بعض قدامى النحاة على جانب من هذه العناية بنحو القــرآن والقيام باستنباط القواعد من تراكيبه وأساليبه "[١] .

---

(١) ص٨ .

هل حكموا الأقيسة فى النص القرآنى ؟

يقول أحد المعاصرين[١] : " الصبغة العامة للمذهب البصرى أنه مذهب حاول أن يدخل بمسائل النحو فى بوتقة المنطق بأقيسته وتعليلاته وفروضه وتأويلاته قبل الرجوع إلى كلام الله وكلام العرب " ؛ ويقول[٢] : " ترك البصريون الاستشهاد بالقرآن اعتمادًا على الأقيسة " .

فهل لهذا الرأى نصيب من الصحة ؟

قبل أن أحكم أطرح ما قاله أبو عمرو بن العلاء البصرى المتوفى سنة ١٥٤هـ : " لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا وكذا "[٣] فما الذى منعه من اتباع القياس إلا ورعه وتقواه واحترامه للرواية القرآنية ؟!

كما أطرح ما قاله ابن خالويه[٤] : " ويجوز فى النحو : " **مالكٌ يوم الدين** " بالرفع على معنى : هو مالك ، ولا يقرأ به لأن القرآن سنة ولا يحمل على قياس العربية " .

إن الذى سار عليه المذهب البصرى واشتهر عنه هو ما عبر عنه شيخه سيبويه بقوله : " ولكن الأكثر يقاس عليه "[٥] ، أما الكوفيون فقد عرف عنهم أنهم يقيسون على القليل ، ومعنى هذا : أن البصريين

---

(١) ص٩ القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية .
(٢) ص١٠٣ .
(٣) السبعة لابن مجاهد ص٨٣ .
(٤) إعراب ثلاثين سورة ص٢٣،٢٤ .
(٥) جـ٢ ص٢١٥ ط. بولاق .

يستقرئون أولاً ثم يقيسون ، ولا يقيسون إلا بعد أن يتأكدوا من مسار الأكثرية ، فكيف نتصور أنهم تركوا الاستشهاد بالقرآن مع أنهم لا يقيسون إلا على الأكثر ؟! كيف يتأتى لهم الأكثر بعد أن يتركوا القرآن ؟! وكيف يتفق هذا مع الحقيقة التاريخية الناصعة أن معظم قراء القرآن ورواته كانوا من العلماء النحاة[١] ؟ .

تحديد معنى " نص قرآنى " :

حتى تتضح الرؤية ، وندرك كيف انطلت هذه الفرية على المحدثين ، وعلى النيسابورى من المتقدمين ، علينا أن نستفتى أهل الخبرة فى القراءات لنحدد أولاً ما ينطبق عليه تعبير " النص القرآنى " .

يقول المرحوم الشيخ عبد الفتاح القاضى وهو من أئمة القراء المعاصرين ناقلاً عن الثقاة : " يقول النويرى : أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على القراءات العشر " ، ويقول ابن الجوزى فى منجد المقرئين : " لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشرة " ويقول الإمام النووى : " كل قراءة وراء العشرة لا يحكم بقرآنيتها ، ولا تجوز القراءة بها لا فى الصلاة ولا خارجها .

ونقل **ابن عبد البر** إجماع المسلمين على أنه " لا تجوز القراءة بالشاذ وأنه لا يصلى خلف من قرأ بها ، وأنه يجوز تعلمها وتعليمها وتدوينها فى الكتب وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى ، واستنباط الأحكام الشرعية منها على القول بصحة الاحتجاج بها

(١) ص١٨ من كتاب القراءات فى نظر المستشرقين .

والاستدلال بها على وجه من وجوه العربية " .

وإذن فكل ما عدا العشرة من القراءات ليس بقرآن ، وإهمال الاستشهاد بها ليس إهمالاً للقرآن ؛ وما كانت إلا لهجات قصد منها التيسير على الأمة ، ثم فى العرضة الأخيرة على رسول الله ﷺ نسخت وأهملت ، ومع ذلك ظل بعضها حيًا لدى من لم يبلغه نسخها .

يقول الشيخ القاضى[1] : " الحامل للخليفة الثالث " عثمان " على كتابة المصاحف الرغبة فى جمع المسلمين على القراءات الثابتة عن رسول الله ﷺ عن طريق التواتر ، دون ما عداها من القراءات التى نزلت أولاً للتيسير على الأمة ثم نسخت بالعرضة الأخيرة ، وكان يقرؤها من لم يبلغه نسخها ولقد كان خلو المصاحف من النقط والشكل محققاً لرغبة الخليفة " عثمان " ومساعدًا له على جمع الناس على القراءات المتواترة دون المنسوخة والشاذة " .

وإذا طرحنا ما فوق العشرة من القراءات لم تبق أمامنا إلا بضع آيات ورد فى كتب النحاة ما يوحى بأنها - رغم سبعيتها أو عشريتها - لا تتفق مع المقاييس النحوية ويعبرون عن ذلك بأنها شاذة ويعنون بالشذوذ الخروج عن القاعدة القياسية ، مع يقينهم بفصاحتها ، وهذا ما يقولون عنه : شاذ قياسًا فصيح استعمالاً ، وقد يعبر بعضهم عنها بالضعف ، ويقصدون ضعف الرأى الذى يحملونها عليه أو الوجه الذى يدخلها فى القياس .

---

(١) ص١٩ من المرجع السابق .

هذه واحدة ؛ والثانية : أن قضية الاستشهاد النحوى لم تـأت فـى الأساس للشائع المشهور ، فكتب النحو منذ سيبويه حتى ابن هشام قلمـا تستشهد للكثير المستعمل ، ومعظم شـواهدها علـى الـشاذ والنـادر والضرورة واللهجة .

ذلك أنهم حينما فرغوا من الاستقراء والتـصنيف وجـدوا بعـض نصوص خارجة عن مسار الأكثرية السائدة فنظروا فيها ، فما وجدوا له وجهًا ولو بعيدًا أوّلوه ، وما لم يجدوا له وجهًا بحثوا عن سمات اللهجات الخاصة ، وعن مصدر النص الخارج عن المـسار اللغـوى المـشهور فردوه إلى لهجته ما أمكن ، وما لم يعثروا له على وجه أو لهجة وكـان الوارد منه قليلاً حكموا عليه بالندرة ، والشذوذ عندهم خروج عن القاعدة التى استنبطوها من الاستقراء ولا يؤثر ذلك فى فصاحتها .

وما أروع قول ابن جنى فى هذا المجال[1] :

" واعلم أنك إذا أداك القياس إلى شىء ثم سمعت العرب قد نطقـت فيه بشىء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه ، فإن سمعت من آخر مثل ما أجزته فأنت مخيّر ، تستعمل أيهما شئت ، فإن صح عندك أن العرب لم تنطق بقياسك كنت على ما أجمعوا عليـه البتة ، وعددت ما كان قياسك أداك إليه لشاعر مولّد ، أو لـساجع ، أو لضرورة ، لأنه على قياس كلامهم ، بذلك وصى **أبو الحسن** ، وإذا فشا الشىء فى الاستعمال وقوى فى القياس فذلك ما لا غاية وراءه ، نحـو

---

(١) الخصائص جـ١ ص١٢٥،١٢٦ .

منقاد اللغة من النصب بحروف النصب ، والجـر بحـروف الجـر ، والجزم بحروف الجزم ، وغير ذلك مما هو فاش فى الاستعمال ، قوى فى القياس ، وإذا ضعف الشىء فى القياس ، وقـل فـى الاسـتعمال فمرذول مطّرح ، غير أنه قد يجىء منه الشىء إلا أنه قليل " .

وإذا أخذنا كتاب سيبويه نموذجًا لأول وأوفى كتاب ألف فى هذا الفن فإننا نجده على هذا النمط ، لا يكاد يستشهد بالشعر لقاعدة مطـردة فـى كتاب الله ، أو فى كلام العرب ، حيث إن كثرة استعمالها تأبى أن يستدل لها ، ولم يشذ عن هذا النمط آخر المجتهدين فى هذا الفن وهو ابن هشام ، وإذا تصفحنا كتابه " **أوضح المسالك** " فإننا نجد بالاستقراء ٥٨٣ بيتاً من الشعر موزعة على ما جاء ضرورة ، أو لغة ، أو شـذوذاً ، أو جـوازًا مرجوحًا ، أو راجحًا ، وما جاء منها شاهدًا أو تمثيلاً للراجح أو الـشائع قليل جدًا ، وفى معرض إثبات القلة أو الندرة للاستعمال المقابل ، ولـولا أن المجال يضيق عن ذكر كل الشواهد الشعرية التى وردت فـى هـذا الكتاب الذائع الصيت مبيناً أمام كل شاهد ما جاء من أجله ليتبين صـدق ما ندعيه ، ولينكشف الحق الصراح فى أن النحـاة لـم يهملـوا الـنص القرآنى ولم يفضلوا عليه الشعر والرجز كما يرميهم بذلك المحـدثون .. لفعلت ، ولكن عملاً بقاعدة : ما لا يدرك كله لا يتـرك جلـه ، نـسوق شواهد باب مشهور هو باب الفاعل كما وردت فى أوضح المسالك :

١ - الكوفى يجيز تقدم الفاعل بدليل :

ما للجمال مشيها وئيدا

٢ - يحذف الفاعل لدليل حالى :

فإن كان لا يرضيك حتى تردنى ∴ إلى قطــرىٌ لا إخالك راضيا

٣ - يحذف الفاعل إن أجيب به نفى ؛ مثل :

تجلّدتُ حتى قيل لم يعرُ قلبَه ∴ من الوَجْدِ شيءُ قلت بل أعظمُ الوجد

٤ - يحذف الفاعل إن أجيب به استفهام مقدر ؛ مثل :

ليُبْكَ يزيدُ ضارعُ لخصــومة ∴ ومختبط مما تطــيح الطوائح

٥ - يحذف الفاعل إن استلزمه ما قبله ؛ مثل :

غداة أحلّت لابن أصرم طعنةُ ∴ حصين عبيطاتِ السدائف والخمرُ

٦ - طيّئ وأزد شنوءة يلحقون بالفعل علامة التثنية ؛ مثل :

ألْفــيَتَا عينــاك عــند القــفا ∴ أولــى فأولــى لك ذا واقــية

٧ - طيّئ وأزء شنوءة يلحقون بالفعل علامة الجمع ؛ مثل :

يلومونني فى اشتراء النخيــ ∴ ــــل أهلــى فكلهــم ألوم

٨ - ومثل :

نُتِــجَ الربيــع محاســـنا ∴ ألقحــنها غــرُّ الســحائب

٩ - ويلحقون علامة التثنية مع المتعاطفين ؛ مثل :

وقد أسلماه مُبعدٌ وحميم

١٠ - ومثل : وإن كانا له نسب وخير

١١ - يجوز ترك التاء فى الشعر مع التأنيث المجازى ؛ مثل :

ولا أرض أبقل إبقالها

١٢ - ومثل : فإن الحوادث أودى بها

١٣ - يجوز ترك التاء عند الفصل بين الفعل والفاعل ؛ مثل :

لقد ولد الأخيطلَ أمُّ سوء

١٤ - تأنيث الفعل بعد " إلا " خاص بالشعر ؛ مثل :

مـــا بـــرئت من ريبـــة وذم ∴ فـــى حـــربنا إلا بناتُ العـــم

١٥ - قد يذكر الفعل مع البنات لعدم سلامة الواحد ؛ مثل :

فبكى بناتيَ شجْوَهُن وزوجتى

١٦ - يجيز البصريون تقديم المفعول المحصور بـــ " إلا " ؛ مثل :

ولما أبى إلا جماحا فؤاده

١٧ - ومثل : فما زاد إلا ضِعفَ ما بى كلامُها

١٨ - ومثل : وتُغْرس إلاَّ فى منابتها النخلُ

١٩ - يتوسط المفعول حيث لا مانِع ولا موجب ؛ مثل :

كما أتى ربَّه موسى على قدر

٢٠ - يجوز فى الشعر فقط تقدم الفاعل المتصل بضمير المفعول ؛ مثل :

جزى ربُّه عنى عدىَّ بن حاتم

٢١ - الكسائى يجيز تقدم الفاعلَ المحصور بـــ " إلا " ؛ مثل :

ما عاب إلا لئيمٌ فعلَ ذى كرم ∴ ولا جـــفا قطُّ إلا جـــبأ بطلاَ

٢٢ - ومثل : وهل يعذِّب إلا اللهُ بالنار

٢٣ - ومثل : فلم يدر إلا اللهُ ما هيَّجَتْ لنا

هذا نموذج واضح الدلالة لباب مشهور فى النحو كله ، وقد اشتمل على ثلاثة وعشرين شاهدًا شعريًا ، لو أعملنا فيهـــا الفكـــر لوجـــدناها

مقسمة إلى أربع مجموعات :

١ - المجموعة الأولى : عبارة عن أدلة لمذهب نحوى مخالف للجمهور وتشمل سبعة أبيات هى : ١ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

٢ - المجموعة الثانية : أدلة لما يجوز عند العرب مخالفاً للأصول المقررة لعلة معنوية ؛ وتشمل سبعة أبيات أخرى هى : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٩ .

٣ - المجموعة الثالثة : أدلة على لغة مخالفة للشائع عند العرب ؛ وتشمل خمسة أبيات هى : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

٤ - المجموعة الرابعة : لما يجوز فى الشعر فقط ؛ وتشمل الباقى وهو أربعة أبيات هى : ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٠ .

موقف بعض المعاصرين :

بعد أن ثبت بالأدلة القطعية أن النحاة لم يهملوا النص القرآنى ، ولم يفضلوا عليه الشعر ، ولم يستشهدوا بالشعر على صحته ، وأن القراءات الشاذة لا تعتبر قرآناً ، وأن آيات قليلة وردت فى السبعة واختلف النحاة فى توجيهها ، وتجاوز بعضهم فوصفوها بما لا يليق ، ننظر فيما قاله بعض المعاصرين تبريرًا لضرورة اصطناع نحو قرآنى جديد ، فنجدهم قد التقطوا هذه الآيات القليلة التى دار النقاش حول توجيهها نحويًا ، وجعلوها مادة ومجالاً يجولون فيه ويصولون ،

ويبدئون ويعيدون ، ويتهمون بسببها من عاشوا يأكلون بعلمهم ، ومن أضاعوا للدنيا كلها كيف تفهم كتاب ربها ، وكأنهم أغير منهم على كتاب الله .

وحتى يتبين للقارئ مدى التجنى على هؤلاء العمالقة سنسوق ما ذكره أبو حيان النحوى عن أول آية صدر بها صاحب الدفاع عن القرآن كتابه ومطاعنه .

وليسمح لى القارئ إن نقلت النص كاملاً إذ كان أبو حيان هذا ممن نسب إليهم المؤلف تخطئة القراءة السبعية ، قال أبو حيان فى البحر(١) :
" وما ذهب إليه أهل البصرة وتبعهم فيه الزمخشرى وابن عطية من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار ومن اعتلالهم لذلك غير صحيح ، بل الصحيح مذهب الكوفيين فى ذلك وأنه يجوز ، وقد أطلنا الاحتجاج فى ذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾(٢) ، وذكرنا ثبوت ذلك في لسان العرب نثرها ونظمها فأغنى ذلك عن إعادته هنا " .

وأما قول ابن عطية : " ويرد عندى هذه القراءة من المعنى وجهان : فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه ، إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ قرأ بها سلف الأمة واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من رسول الله ﷺ بغير واسطة : عثمان وعلىّ وابن مسعود وزيد بن ثابت ، وأقرأ الصحابة أبيُّ بن كعب : عمد

---

(١) جـ٣ ص١٥٩ .
(٢) سورة البقرة – آية رقم ٢١٧ .

إلى ردها بشيء خطر له في ذهنه ، وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري ، فإنه كثيرًا ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم ، وحمزة ﷺ أخذ القرآن عن سليمان بن مهران الأعمش ، وحمران بن أعين ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، وجعفر بن محمد الصادق ، ولم يقرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر ، وكان حمزة صالحًا ورعًا ثقة في الحديث ، وهو من الطبقة الثالثة ، ولد سنة ثمانين ، وأحكم القراءة وله خمس عشرة سنة ، وأم الناس سنة مائة ، وعرض عليه القرآن من نظرائه ثلاثة ..

إلى أن قال : " ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم ، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون ، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون ، وإنما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربية لا أصحاب الكنانيس المشتغلون بضروب من العلوم الآخذون عن الصحف دون الشيوخ " .

هل يملك صاحبنا قوة دفاع عن القراء مثل أبي حيان الذي هو في حكمه من النحاة الطغاة الذين تجاوزوا الحد المعقول وأسرفوا على أنفسهم في اللغة والدين ؟!

وكم أعجب لصاحبنا وهو يناقض نفسه بعد أن اتهمهم في دينهم حيث يقول : " إني لا أتهم هؤلاء النحاة في دين أو خلق ، ولكنها العصبية المذهبية ، والتمسك بالقواعد النحوية ، كل ذلك فرض عليهم أن يقفوا هذه المواقف التي لا تليق بالعلماء الأجلاء " .

هل يضع مثل هذه الجمل عمدًا ليستطيع أن يدافع بها عــن نفــسه حين يرمى بما رماهم به ؟ الله أعلم .

لقد يبدو أن صاحبنا قد نذر نفسه لهذه النقطة التى كررها فى كتابه : " **سيبويه والقراءات** " وفى دفاعه عن القرآن فأعاد حديثه عنها فى مجلة " **البحث العلمى والتراث الإسلامى** " فى العدد الخامس الصادر من جامعة أم القرى سنة ١٤٠٢هـ ، تحت عنوان ضخم هو : نظرية النحو القرآنى ، ثم أصدره كتابًا مطبوعًا متداولاً فى الأسواق ، يقوم على أســاس تقــسيم النحو إلى قسمين : قسم ارتضاه النحويون ووافقــوا عليــه ، وقــسم لــم يرتضوه فتأولوه أو عارضوه ؛ والقسم الثــانى : " هــو موضــع الثقــل والتركيز فى هذه النظــرية " – حسب تعبيره – ثم هو يبنى نظريته على " تخيل مسالك التفكير عند النحويين " وهذا تعبيره أيضًا ..!! وجاء بقراءة تحقيق الهمزتين فى أئمة ، وهى المبحث الثالث فى دفاعه عن القرآن .

وجاء بقراءة : ﴿ إِنَّ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾[1] وأعاد فيها ما قاله فــى دفاعه فى المبحث السادس ، وأضاف إشادته **بابن تيمية** ورده على ذلك بحكم أنه يعمل فى جامعة أم القرى .

وانتقل إلى ما قاله فى كتابه الأول : " **سيبويه والقــراءات** " عــن تقدير البصريين للفعل بعد " إذا " لأنها لا تدخل إلا على الأفعال وهو لم يحاول أن يتدبر فيما علل بــه البــصريون قياســهم ، إذ قــالوا : إن المفروض فى الشرط أن يكون ممكن التحقيق ، ومعنى ذلك : أن الشرط

---

(١) سورة طه – آية رقم ٦٣ .

مما يتغير ، والذى يتغير هو الحدث ، ومن هنا كان الشرط فعلاً سواء كانت الأداة جازمة أم غير جازمة ففى قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾(١) لا يعقل أن يكون الشرط هو السماء ، وأن انشقاقها هو الذى ينبغى أن يلى الأداة لأنه الشرط ، وقد أغنى عن ذكره هنا أنه جاء بعد اسم الذات فعلاً مفسرًا له مسندًا إلى اسم الذات .

أما أن النصوص القرآنية التى ساقها على أنها تؤيد إعراب الأخفش - حيث أعربها مبتدأ وخبرًا - فلم ينكرها البصريون ، وإنما أعربوها على وجه آخر ، فالخلاف ليس فى النص ولكنه فى جهة الإعراب !

أما عن تطبيق نظرية النحو القرآنى لدى صاحبنا ، فقد عاد إلى قراءة جر الأرحام وهى المبحث الأول فى دفاعه عن القرآن ، وهنا يسوق كلام **أبى حيان** دليلاً له ضد النحاة ، فمن يكون **أبو حيان** إن لم يكن نحويًا ؟ ثم يقترح تعديل القاعدة كما عدلها **ابن مالك** فى الألفية ، فماذا فعل الرجل إذن ؟

إنه يعترف بأن الأكثر إعادة الخافض ، فماذا على البصريين حين قاسوا على هذا الأكثر ؟ إنها حرب فى غير ميدان كحربه فى الفصل بين المتضايفين فى النثر مع تصريحه بأن **الأشمونى والصبان والأسيوطى وابن مالك وأبا حيان** يرون هذا ! وما من قاعدة أراد تعديلها إلا استقى تعديلها أو نقله حرفيًا من كلام النحاة أنفسهم !!

---

(١) سورة الانشقاق - آية رقم ١ .

إننا لو سلمنا جدلاً بأن بعض النحاة قد أخطأ التعبير عن مراده فهل يبيح هذا أن نطعن فى هؤلاء الذين نقلوا إلينا اللغة ، بل ونقلوا إلينا كتاب الله نفسه ، بحكم أنهم قراء ؟ ثم ماذا بعد أن نطعن فيهم هكذا ؟ ألا يلتقط المتربصون بنا هذا الخيط ، ويطعنون فيما نقلوه إلينا من لغة وقرآن معًا ؟ ألا نكون حينذاك كالدبّة التى قتلت صاحبها ، وهى تريد أن تبعد عنه الذباب ؟! هل التركيز على الأخطاء منهج علمي سوى ؟ وما تكون هذه الهنات بجوار جهادهم الأكبر فى ميدان القرآن ؟

مَن غير النحاة أعرب القرآن كلمة كلمة ؟ ومَن غيرهم بيّن معانيه وأسلوبه ؟ مَن أولُ من ألّف ذلك ؟ من حمى هجمات الطاعنين على القرآن فى عهد الشعوبيين والزنادقة والمشككين ؟ .

لقد كان أول من تعرض لتفسير القرآن آية آية على التتابع : الفراء النحوى المتوفى ٢٠٧هـ ، أما من كانوا قبله من العلماء فقد اقتصروا على تفسير ما أشكل فهمه من الآيات .

بل إننى لا أذهب بعيدًا حينما ألتقط من كلام **أبى حيان** السابق عن **ابن عطية** : أن رده للقراءة جسارة قبيحة لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه ، إن مثل هذه الأقوال مدسوسة عليهم من النساخ الذين كانوا يكتبون غير ما يملى عليهم لمآرب ، أدناها اتصالهم بأعداء الإسلام الذين كان همهم تشويه تراثه ، وإلا فكيف سكتت الأمة عن هذه الأوصاف لآيات الكتاب مع حرصها الذى لا يوجد له نظير على حماية حماه ؟ .

إن يد التحريف حين يئست من العبث فى كتاب الله اتجهت

بإسرائيلياتها نحو كتب التفسير أيًا كانت : نحوية أو فقهية ، فدست فيها ما يخدم أغراضها فلماذا لا تكون هذه الكلمات القبيحة من صنع هؤلاء ، وبخاصة أنها لا تليق بحالهم ولا بطهارة لسانهم كما يعبر أبو حيان ؟ .

وهل يمكن أن يقال عن هؤلاء العظام : إنهم شكوا فى توثيق النص القرآنى فاستشهدوا عليه بالشعر ؟

ثم لماذا لا نصعد التهمة إلى صحابة رسول الله من أمثال **عمر** **وابن عباس** وهما اللذان كانا يحتفلان بديوان العرب ؟ بل لماذا لا نصعد المسألة أكثر وأكثر إلى سيدنا رسول الله ﷺ حين وافق على إنشاد الشعر أمامه وقال : « **إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا** » ؟

إن هؤلاء النحاة لم يوثقوا النص القرآنى بالشعر وإنما وضعوه حيث ينبغى له سموًّا وعلوًّا ، ولنسمع إلى **أبى حيان** النحوى فى مقدمة تفسيره البحر[١] : " ينبغى أن يحمل القرآن على أحسن إعراب وأحسن تركيب إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام ، فلا يجوز فيه ما يجوِّزه النحاة فى شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة " .

وكان **الأصمعى** مع علمه الواسع بالعربية شديد الاحتراز فى تفسير القرآن والسنة ، وكان يقول إذا سئل عن شىء منها : العرب تقول : معنى هذا كذا ولا أعلم المراد منه فى الكتاب والسنة أى شىء هو ؟

ومغزى كلام أبى حيان والأصمعى أنهم كانوا يتجنبون ما أمكنهم

---

(١) جـ١ ص٥،٤ .

أن يقطعوا بمعنى كلام الله ، أو تحديد مراده ، أو حملـه علـى وجـه ضعيف فى اللغة ، ضرورة أنه نزل بلسان عربى مبين .

قضية النحو القرآنى :

والآن : ما قضية النحو القرآنى ؟ وهل يختلف هذا النحو عن النحو القديم ؟ الحقيقة أن الدعوة إلى نحو قرآنى لها فوائد وعليها محـاذير ، فأما فوائدها : فإنها تستبين بتبيان طبيعة هذا النحو ، وطبيعته كما أراه : جمع الآيات القرآنية أو قدر كاف منها لشرحها للمتعلم ، ثـم اسـتنتاج القاعدة منها مع التنبيه على ما ورد مخالفاً لهذه القاعدة من شعر أو نثر ، فليست اللغة العربية محصورة فى ألفاظ القرآن الكريم وأساليبه ، غيـر أنه أفصحها وأعلاها قدرًا ، فينبغى تقديم ما جاء فى القرآن وتأخير ما عداه حسب الشائع والنادر حتى لا نقطع على الدارس خـيط الاتـصال بينه وبين تراث هذه الأمة .

كما ينبغى الحرص فى السنوات الأولى للدراسة على اختيار الآيات التى لا تحتمل إلا وجهًا إعرابيًا واحدًا ، وتأجيل الآيات التى تحتمل أكثر من وجه إلى السنوات الأخيرة .

حينذاك يستفيد الدارس معنى الآيات التى قـدمت علـى القاعـدة وتتحرك فى نفسه ملكة التقليد لهذه الأساليب الرفيعة ، وأعتقد أن هـذه الطريقة – وقد صارت ميسرة موطأة بعد الدراسة الاستقرائية التى قام بها أستاذنا المرحوم الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة فـى دراسـاته

لأسلوب القرآن الكريم - تجذب الجيل الشارد عن النحو الجامد على أمثلة صيرها الإعلام ووسائله مجالاً للسخرية ، مع مراعاة ضرورة ربط القاعدة بالمعنى الذى يترتب على الحفاظ عليها كما فعل الإمام عبد القاهر الجرجانى فى كتابه " **المقتصد** " وفى " **دلائل الإعجاز** " إذ لابد من التذوق للمعنى حين تراعى القاعدة كما لابد من المقارنة بين هذا المعنى وما يمكن أن يؤديه الأسلوب عند عدم مراعاتها ، وأيضًا لابد من لفت نظر الدارس إلى تعدد الوجوه الإعرابية الممكنة فى الأسلوب الواحد ، ولو فى المراحل المتقدمة ، ضرورة أن المتكلم بها لم يحدد معنى واحدًا لجملة تحتمل أكثر من معنى .

ولقد يكون من المستحسن فى هذا المجال أن نضرب لذلك أمثلة من القرآن الكريم ، فنأخذ لذلك مثلاً بمواضع الوقف المتعانق.

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[١] حيث تقرأ هذه الآية بطريقتين من طرق الأداء .

الأولى : ذلك الكتاب لا ريب ؛ فيه هدى للمتقين .

والثانية : ذلك الكتاب لا ريب فيه ؛ هدى للمتقين .

ويرمز لهاتين الطريقتين فى رسم المصحف بعلامة الوقف المتعانق حيث نجد فوق كلمتى " ريب " و" فيه " ثلاث نقاط إشارة إلى أنك إن وقفت على الكلمة الأولى فلا تقف على الثانية ؛ وإن وقفت على الثانية

---

(١) سورة البقرة - آية رقم ٢ .

فلا تقف على الأولى ، ولم يشر القراء إلى الطريقتين نغمًا أو عبثاً أو اعتباطاً ، ولكن لكل من الأداءين معنى يختلف عن الآخر ، وكلا المعنيين صحيح ورائع ومراد ، وذلك لعمرى نمط فريد من وجوه الإعجاز والتحدى .

أما معنى الأداء الأول : فإنه يفيد أن هذا هو الكتاب الذى كانت ترنو البشرية إليه ، ولا يمكن أن يلحق هذا الحكم ريبة أو تهمة أو ظنة ، ليس لعاقل يحترم عقله أن يشك أو يرتاب فى أن هذا هو الكتاب ، فإذا ظهرت ريبة فى هذا عند أحد فإنما منبعها خطل فى التفكير ، أو عوج فى الفهم ، أو ضلال عن الحقيقة .

وهذا الكتاب يشتمل على الهدى كما يشتمل الإناء على الماء والظرف على المظروف ، إن الهدى شىء صب فيه فتمكن واستقر ، فى كل لفظة منه هدى ، وفى كل تعبير إرشاد ودلالة ، وفى كل سورة نور وإلهام وبيان .

والغريب أن كل هذه المعانى مستعملة للهدى فى لغة العرب .

وإعراب هذا الأداء قائم على أن خبر لا النافية للجنس محذوف ، وأن الجار والمجرور " فيه " خبر مقدم للمبتدأ المؤخر " هدى " .

أما الأداء الثانى : فإنه يعنى أن هذا الكتاب العظيم الذى بلغ من الكمال ذروته لا يشتمل على شىء مريب ، ليس به اضطراب أو تضارب ، وليس به معلومة واحدة يمكن أن يكتشف إنس أو جن على مدى الدهر كله أنها غير صحيحة ، إنه كتاب الله المقروء ، ولا يمكن

أن يختلف عن كتاب الله المنظور ، وبذا لا يداخله لفظ مريب أو معنى مهتز ، وهذا الكتاب هو الهدى نفسه ، هو الدلالة وهو النور الذى يبدد ضوؤه كل حيرة ، وهو المنهج وهو العقيدة ، هو المبدأ وهو السلوك ، هو كل شيء فى حياة المتقين .

وإعراب هذا الأداء ينبنى على جعل الجار والمجرور " فيه " خبرًا لـ " لا " النافية للجنس ، و " هدى " خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هو " .

ألا ترى معى كيف يتذوق الدارس للمعنى من خلال الإعراب ، وكيف تتربى عنده ملكة الفهم لأساليب اللغة المختلفة فى أداء المعانى ، مما يدعوه إلى مزيد من الاطلاع على روائع ما فى التراث ، ويتعمق لديه أساس الإعجاز القرآنى الفريد ؟

أليس هذا خيرًا من تكرار الكتب المقررة لأمثلة جافة ، وليس هذا إلا مثالاً لما يمكن أن يكون ، وما من قاعدة نحوية أساسية إلا لها عشرات الأمثلة فى النص القرآنى المعجز ، وبالله التوفيق .

الفهرس